الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جـــامعة الــوادي

كلية العلوم الإجتماعية والإنسانية
قسم العلوم الإنسانية
شعبة التاريخ

مظاهر الحياة الاجتماعية للدولة الفاطمية بالمغرب

(296هـ - 362هـ/908م-972م)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الليسانس في التاريخ

إعـــداد الطالبات

- أحلام خميـــس
- خولة رميـــــلي
- خولة مجـــــوج
- دلال خرفـــــي
- سارة حمـــــاد
- سميرة بن جـدو
- عائشة هركــوس
- فتيحة طعبـــلي
- نعيمة مصبـــاح

إشـراف الأستاذ :

الحاج سعد سليم

السنـــة الجـــامعية : 2014/2013م

بسم الله الرحمان الرحيم

شكـــــر وعـــرفـــان

الحمد و الشكر لله الذي يسر لنا السبل ووفقنا لإنجاز هذا العمل.

باسم عبارات الشكر والعرفان نتقدم إلى الأستاذ المشرف الحاج سعد سليم

الذي تكرم علينا بالإشراف على هذا العمل وصبر معنا

فجزاه الله خير الجزاء.

إلى كل الأساتذة الذين أمدوا إلينا يد المساعدة ولم يبخلوا ا علينا بنصائحهم

إلى كل من أسد إلينا معروفا ولو بكلمة مشجعة والدعاء المفرج.

إلى كل من ذكره القلب ولم يكتبه القلم فعذرا.

عائشة ،سميرة،دلال،خولة م،نعيمة ،خولة ر،سارة،أحلام, فتيحة.

قائمة المختصرات

الإختصار	معناه
م	ميلادي
هـ	هجري
تح	تحقيق
ص	صفحة
ج	جزء
ط	طبعة
ص.ص	عدد الصفحات
د.ط	دون طبعة
د.ت	دون تاريخ

مـــــقـــــدمـــــة

شهدت دول المغرب الإسلامي ازدهارا كبيرا خلال فترات العصور الوسطى وهذا نتيجة للتطور الكبير الذي عرفته في شتى الميادين , ومادام المجتمع الركيزة الأساسية لأي دولة من الدول فقد كـانت الدولة الفاطمية نموذجا متميزا في بلاد المغرب الإسلامي.

لذلك فالضرورة تقتضي الاهتمام بالدراسات الاجتماعية وبيـــان موقع المجتمعات من تطور الأحداث التاريخية ودورها الفعال ,لأنها بمثابة الدراسات الوحيدة التي تستطيع إظهار الجوانب الخفيـة التي لا طالما ضلت في منطقة الظل بعيدة عن الضوء , فلم تحضي بالقسط الوافر من البحث والدراسة.

فالدراسات الاجتماعية هي التي تمكننا من تفسير الكثير من الأحداث بمختلف مجـالاتها, فتدهورت بعض القوى الاجتماعية والتي طالما ما تشبثت بالسلطة وصعدت أخرى أقل منها شأنا .

ولأن موضوع بحثنا هذا لم يلق العناية الكافية من الدراسة العلمية ارتأينا البحث والدراسة فيـه خلال الفترة الممتدة بين (296-362هـ -908-972م) بالدولة الفاطمية بالمغرب وعليه يطرح الإشـكال الرئيسي التالي :

فيما تمثلت أهم الملامح الاجتماعية للدولة الفاطمية بالمغرب ؟وكيف أثرت من خلال فئات المجتمع الفاطمي؟

وأسئلة فرعية :

فيما تمثلت فئات المجتمع الفاطمي ؟

وما هي مظاهر الحياة الاجتماعية فيها ؟

وإلى أي مدى ساهمت الاضطرابات فيها؟

وللإجابة اتبعنا بعض المناهج ولعل أهمها المنهج الوصفي كونه يتناسب مع مثل هذه المواضيـــع وضروري لوصف الوقائع وتتبع الأحداث ,ويتخلله وصف لبعض الجوانب كالعادات والتقاليد,الأعياد الدينية, الزواج...الخ,مما أدى بنا الاعتماد أحيانا على تبني لغة سردية على أساس أننا نسرد حقائق كانت موجودة بالمغرب الإسلامي خلال العهد الفاطمي , كما اعتمدنا على منهج التحليل بقصد تحليل بعض الظواهر والأحداث المختلفة للوصول إلى أحكام معلنة ومنطقية .

ولدراسة الموضوع دراسة منهجية وموضوعية قسمنا موضوعنا إلى مقدمة وفصل تمهيدي وفصلين وخاتمة احتوت على أهم الاستنتاجات التي توصلت إليها الدراسة.

أما عن التمهيد قدمنا فيه عرض مختصر حول انتشار الدعوة الشيعية الإسماعيلية في بلاد المغرب الإسلامي وهي المرحلة التي تميزت بإرساء أسس الدولة الفاطمية.

وكان الفصل الأول بعنوان فئات المجتمع تضمنت فيه أهم فئات المجتمع في العهد الفاطمي بمختلف القبائل المغربية نذكر: منها كتامة, صنهاجة ,زناته...وربط كل فئة بالتي قبلها لتطرق إلى أوجه الاختلاف .

أما الفصل الثاني فكان تحت عنوان الحياة العامة للسكان ومظاهر الاضطرابات الاجتماعية والاحتفالات السائدة في بلاد المغرب الإسلامي, مع وصف لبعض الاضطرابات في المجتمع .

من أسباب ودوافع اختيارنا للموضوع أهمها :

الرغبة في كشف جانب من جوانب الدولة الفاطمية خاصة الاجتماعي منها, كذلك الرغبة في إثراء المكتبة التاريخية بالأعمال الأكاديمية , ضف إلى ذلك أن تمحور أغلب الدراسات حول الجانب السياسي أكثر منها اجتماعي.

من أهم الصعوبات التي واجهتنا قلة المراجع والمصادر المتخصصة في هذا الموضوع حيث أهمل معظم المؤرخين الجوانب الاجتماعية وأسرفوا في سردهم للوقائع السياسية, كما أن أغلبها تتحدث عن الدولة الفاطمية في مصر.

ومن أهم المصادر والمراجع المعتمدة نذكر منها :

ـ **ابن خلدون** :العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،حيث أفادنا في معرفة أنساب البربر .

ـ **ابن حوقل:** صورة الأرض.فقد أفادنا كثيرا في معرفة مدن المغرب الإسلامي وفي معرفة الملامح الاجتماعية ووصف للأخلاق والعادات المجتمع الفاطمي.

ـ **المالكي** :رياض النفوس،فهو ذو قيمة تاريخية عظيمة إذ يزخر بإشـــارات اجتماعية تتعلق بالمـأكل والملبس .

ـ **القاضي النعمان** افتتاح الدعوة :استقينا منه معلومات عن أهم الأحداث الاجتماعية لا غن عنها للدارس في التاريخ الاجتماعي كالتعرف عن مكانة كتامة الاجتماعية ودورها

في قيام الخلافة وأيضا بـعض العادات والتقاليد السائدة في المجتمع كصفة الكرم،الشجاعة ...الخ .

ـ **رفيق بوراس** :مذكرة ماجيستر ،بعنوان الأوضاع الاجتماعية بالمغرب في عهد الخلافة الفاطمية (296 . 372هـ-908-972م) ،التي ساعدتنا في استقاء المعلومات خاصة الفصل الثالث منها الذي ينصب في أهم العادات التي كانت في العهد الفاطمي ومدى تأثيرها في المجتمعات الأخرى ،وكذلك أهم الاضطربات التي مر بها الفاطميين أنذاك كالأمراض ،المجاعات ،الهجرة...الخ .

ـ **ابن عذاري المراكشي** : بيان المغرب في اخبار المغرب والاندلس :الذي أفادنا في معرفة تواجد العرب وكيفية انتشارهم في إفريقية.

ـ **الداعي الإدريسي**:تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب ,الذي أمدنا بمعلومات عن كيفية تأسيس الدولة الفاطمية.

الفصل التمهيدي

تمـــهيد:

قبل التكلم عن الأوضاع الاجتماعية لبلاد المغرب في الفترة الخلافة الفاطمية لابد من التطرق أولا عن لمحة جغرافية سريعة لبلاد المغرب لأن هذه البلاد تمثل مسرحا للحوادث التي انتهت بقيام الدولة الفاطمية .

يطلق إسم المغرب على تلك المنطقة الممتدة من ضفة "السلوم " غرب الإسكندرية في الشرق إلى المحيط الأطلسي غربا,ومن البحر الأبيض المتوسط شمالا إلى بلاد السودان جنوبا.

وتعود أصل تسمية المغرب إلى القرن الأول هجري حيث أطلقها الفاتحون من المسلمين لأنه يعتبر من الجهة الغربية بالنسبة للمراكز التي توجهت منها الجيوش لفتح هذه البلاد وينقسم المغرب إلى ثلاثة أقسام:

ـ المغرب الأدنى :ويشمل مساحة من غرب مدينة الإسكندرية ,في الشرق إلى مدينة بجاية في الغرب.

ـ المغرب الأوسط :هو عبارة عن منطقة من بجاية شرقا إلى وادي ملوية غربا.

ـ المغرب الأقصى :يبدأ من وادي ملوية شرقا إلى المحيط الأطلسي غربا .

يقول ابن عذاري المراكشي إن حد بلاد المغرب هو من ضفة النيل من الإسكندرية إلى مدينة سلا يقسم أقساما فقسم من الإسكندرية إلى طرابلس ,وقسم من طرابلس وهي بلاد الجريد ويقال لها أيضا بلاد الزاب الأعلى وتأتي بعد ذلك طنجة وحدها مدينة سلا وهي آخر المغرب.[1]

[1]– عبد الله محمد جمال الدين:الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصر إلى نهاية القرن الرابع هجري,دار الثقافة والنشر والتوزيع,القاهرة,1991,ص ص 11–12.

وقد اتبع الفاطميون خطوات لتأسيس دولتهم في المغرب , وبدأوها بنشر الدعوة الشيعية و تنصيب الأنظار على هذه المنطقة في نشر هذه النزعة الخارجية ،فوجب علينا معرفة مدى نجاح دعاته لتحقيق أهدافهم .

يرجع بعض المؤرخين أن قيام الدولة الفاطمية بالمغرب كان على مرحلتين:تتدرج الأولى تحت اسم مرحلة الدعوة الشيعية أما الثانية مرحلة تأسيس الدولة , يذكر الشهرستاني :أن التشيع مبدأ يقوم على حسب أهل البيت في فترة الرسول صلى الله عليه وسلم ,حيث يقضي بحصر الإمامة بعده في علي بن آبي طالب , بالنص ثم في أبنائه وأحفاده أما الفئة التي والت عليه ونصرته سميت بالشيعة لكونها شيعية وبايعته بالخلافة بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ,وأصبحت الإمامة والولاية فيما بعد من أكبر المسائل الخلافية بين المسلمين.[1]

لا يمكن اعتبار اختيار الشيعة الإسماعيلية لبلاد المغرب أن تكون مهدا لنشر أفكارها من محض الصدفة ،وذلك من خلال قول بن جعفر الصادق للداعيين أبا سفيان والحلواني اللذان أرسلهما إلى المغرب قائلا لهما :" إن المغرب أرض بور فأذهبا فاحرثاها ومهدمها حتى يجيء صاحب البدر " فهذا القول يدل على تحضير مدروس لهذا المشروع الدعوي وإدراك تام لأحوال المنطقة وإذ كلنا نتفق مع من قال أن المغرب الإسلامي كان مجال خصبا لانتشار البدع و الأفكار الشيعية. [2]

1-أبو الفتح بن عبد الكريم الشهر ستاني :الملل والنحل ,1 ,تحقيق محمد السيد الكيلاني ,دار المعرفة للطباعة والنشر ,بيروت ,1980,ص278

2-عبد الله محمد جمال الدين,المرجع السابق, ص40

وبوصول هذين الداعيين إلى مرماجنة ، نزل الأول أبو سفيان عند موضع يقال له "تالا" .[1]

فاشترى عبدين ذكر وأنثى ليأتي له بأخبار المنطقة , لقد قام أبا سفيان بتأسيس أسرة وتضم حياته الدنيوية ورابط في مسجد وزاره الناس واستمعوا إليه وكان يتحدث في فضائل أهل البيت فصارت مرماجنة بتأثيره دار الشيعة وتقدم الحلواني وهو الداعي الثاني فنزل بموضع يقال له " الناضور" فبني مسجد وتزوج واشتهر ذكره وتشيع الكثير منه على يده من كتامة ,نفزة , سيمات , حيث أدت دعوة هاذين الدعيين إلى تأثيرها على قاضي افريقية ابن أنعم الذي كان معاصر لابن سفيان والحلواني لفكرة المهدي المنتظر التي كانوا يدعون إليها سرا ,توفي الحلواني وأبا سفيان فأرسل ابن حوشب من بعدهما أبو عبيد الله وقال له " إن أرض كتامة في المغرب قد حرثها الحلواني وأبا سفيان وقد ماتا وليس لك غيرها فبادر فإنها موطنة ممهدة لك".[2]

وفي الفترة مابين (288 – 289هـ – 901 – 902م) وصل أبو عبيد الله الشيعي إلى مكة حيث بدأ في البحث عن المغاربة اللذين جاؤا إلى الحج و أستطاع أن يتعرف على حجيج كتامة حيث تمكن هذا الداعية في كسب قلوب الكتاميين من خلال ما أظهره له من زهد وفقه , رجع معهم مظهرا لهم أنه يريد الذهاب إلى مصر لتعليم القرءان، فاقترحوا أن يذهب معهم إلى المغرب وأظهر لهم عدم الرغبة . [3]

1-عبد الله محمد جمال الدين،نفسه, ص 40.

[2]– ابن الأثير :الكامل في التاريخ ,ج8,دار الكتاب العربي ,بيروت ,1949,ص112.

[3] - الداعي إدريس :تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب ,من عيون الأخبار,ج5,ص173.

لكن بسياسته الماكرة لبى طلبهم ونزل في القيروان ليبحث عن مواطن في الدولة الأغلبية وجمع المعلومات لمعرفة أقوى القبائل والطرق التي يدخل بها إلى قبائل المغرب.[1]

وقد وجد في كتامة غرضه، فقرر الذهاب إلى قرية تدعى إيكجان حيث سلك سلوك الزهد والعفاف ، فأقبلت عليه القبائل البربرية حيث أظهر عبيد الله الشجاعة والمقدرة السياسية ، والكفاءة العسكرية مما خوله لنيل ثقة ما حوله.[2]

وبسقوط القيروان في يد أبو عبد الله الشيعي أظهر غايته بالإعلان عن الإمام الحقيقي للمسلمين, هو عبيد الله المهدي وأنه قريبا سيصل إلى بلاد المغرب ،وأنه سيكون عادلا , وبإقناعهم بأقواله سايروه حيث انظم إليه بعض القوات من الأغالبة وأصبح جيشه 200ألف مقاتل لكي يدافعوا عن المذهب الشيعي الإسماعيلي والدولة الجديدة .[3]

وعندما وصلت الدعوة الشيعية ذروتها في النجاح أرسل أبو عبد الله الشيعي يستدعي عبيد الله المهدي للقدوم إلى المغرب, لكن الإمام الفاطمي كان قد عزم على الرحيل لليمن خوفا من القرامطة الشام ,وبوصول الدعوة إليه حول اتجاهه إلى المغرب حيث استقر بها وبدأ يباشر أعماله ,من بين الأعمال التي قام بها لإخضاع قبائل صنهاجة بالمغرب الأقصى والقضاء على نفوذ الأدارسة في فاس, وأرسل عمالا إلى ولايات مختلفة اختيارهم من زعماء كتامة ومن يثق بهم من المغاربة ,كما طلب من أبا

[1]– الداعي ادريس ,المصدر السابق,ص 173.

[2]– نفسه ,ص 174 .

[3]–حسن الخربوطي :أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية ,المطبعة الفنية الحديثة , 1976, ص56.

عبد الله الشيعي إخضاع بلاد المغرب الأوسط والأقصى لعدم طاعتهم أخضع قبيلة زناته على الرغم من أن الدولة الفاطمية تدين بظهورها لآبا عبد الله الشيعي.

إلا أن مقتله كان على يد المهدي لأنه كان موضع ثقة من الكتاميين بالإضافة إلى علو مكانته بين أهالي المغرب ,وقد رأى بعد التخلص من أبا عبيد الله الشيعي وإخضاع الكتاميين أن يستعين في إدارة دولته بولاة آخرين ,فولى على المغرب الأدنى "حباسة بن يوسف ",وعين عن المغرب الأوسط الأقصى "عروبة بن يوسف".[1]

وأراد المهدي تدعيم أركان دولته فقام ببناء المهدية حيث أقام بها 63 صهريجا بالإضافة إلى القنوات وبني فيها دار الصناعة تتسع إلي أكثر من 200 مركب وأنشأ فيها الدكاكين ورتب أرباب المهن ,فجعل لكل طائفة في السوق دكان وعندما أتم تأسيس هذه المدينة (المهدية) أمر بتأسيس مدينة أخرى بجوارها ,حيث جعل من المدينتين ميدانا فسحا وقام بإحاطتها بسور وسماها "زويلا"نسبة لإحدى القبائل وطلب من أصحاب الدكاكين الإقامة فيها مع أهاليهم.[2]

1- نفسه, ص57.

2- المقريزي: اتعاظ الحنفاء بأخبار الفاطميين الخلفاء,ج1, ص41 .

الـــفصـــــــــــل الأول

فـئـــــات الـمـجتـمـــع

المبحث الأول :البربر

يرجع علماء الأنساب القبائل البربرية إلى أصلين كبيرين هما البرانس والبتر وكل من يتفرع إلى شعب تنقسم إلى بطون متعددة.

فشعوب برانس يجمعهم سبعة أجدام هي يزداجة و مصمودة وأوربة وعجيسة وكتامة وصنهاجة و أوريغة ويضيف بعض العلماء إلى هؤلاء لمطة وهكورة وجزولة، أما البتر فينحصرون في أجدمة أربعة هي :نفوسة،ضربة وأداسة وبنو الأكبر [1]وليس هناك تناقض بين من يقسم البربر إلى قبائل عدة ويذكرها مفصلة[2]وبين المؤرخين الذين يختفون بذكر الأصول فحسب ذلك لأن البربر كانت أصول كبرى تفرقت إلى شعب انقسمت بدورها إلى بطون فمثلا هوارة حذرت من أوريغة وقبيلة مليلة انحدرت من هوارة و إنحذرت غمارة من مصمودة وتتفرع من قبيلة "لوا " تغزاوة" ولواته" ومن "سدراته "[3]

ونذكر من أهم مواطن القبائل البربرية:

مكناسة:هي فرع من زناته وكانت تسكن على وادي ملوية من أعلاه في سجلماسة إلى مصبه في البحر ومابين ذلك نواحي ملوية كرسيف ومليلة وماإليها من التلول بنواحي

---

[1]– ابن خلدون :العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،بلاق دط،1284 هـ ،ص ص89،90.

[2]– شريف الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ليدن، د.ط، 1864.1866،ص57.

[3]– ابن خلدون :المصدر السابق، ص129.

تازاوتسول[1]كما كانت تسكن حول سردنه وتلمسان بالإضافة إلى احتلالها قرب مدينة أدنه ويحتلون كذلك قلاع كثيرة في جبل أوراس مع هوارة[2].

ويذكر" الإصطخري" أن نفزة ومكناسة موطنهما الأندلس بين جلالقة وقرطبة و يبدو أن هناك فروع من هذه القبيلة عاشت في المغرب الأقصى، " فالبكري" يذكر أنه حوالي مدينة فاس من البربر وهوارة وأوربة ومكناسة فوق مساكن لهم في طبنة يشاركون فيها العرب وهوارة وجبل الأوراس الذي يطل على طبنة وعلى ما وراء ها تقطنه قبائل من مكناسة وأخرى من هوارة وهم يدينون بالمذهب الإباضي، كما تقطن زناته ومكناسة في جوف تيهرت الحديثة يمكن القول بأنه على طول وادي ملوية فيما بين المغرب الأوسط الأقصى كانت تنتشر قبيلة مكناسة.[3]

هوارة : أما هوارة فكانت تسكن أول الفتح في نواحي طرابلس وما يليها من برقة كما أن منهم من قطع الرمل إلى بلاد القفر في اتجاه السودان و يشتركون مع غيرهم من البربر في سكن جبل أوراس وهم مديونة يعيشون في المنطقة التي تسمى شنتبرية ومنهم من يقيموا قبل تيهرت الحديثة كما أن منهم فروعا تقيم بالقرب من أصيلة حول مدينة فاس وحوالي طبنة وبالقرب من تلمسان والذين يسكنون الأوراس .[4]

لواته: توجد جبال متصلة من الشرق إلى الغرب في قبلة قابس وطرابلس أولها من الناحية الغربية جبل يسمى "دمر " وتسكنه أمم لواته من جانبه الغربي، وهذا الجبل غربي "برقة

---

[1]– اليعقوبي : صفة المغرب، أوربا، ص06.

[2]– البكري :المغرب في ذكر بلاد المغرب افريقية والمغرب، دي سيلان باريس، ص144.

[3]– الإصطخري أبو اسحاق بن براهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي: المسالك والممالك، تح محمد جابر عبد العال الحيني، القاهرة، دط، 1961، ص 83 .

4– البكري : المصدر السابق، ص 17.

"وبطون لواته التي تسكنه هي زكودة ومغرطة وزنارة وهناك مدينة على البحر الأبيض بينهما وبين طرابلس خمسة أيام يسكنها البربر من زناته و لواته ومدينة برقة إلى فحص قرب الإسكندرية تسكن لواته وحوالي مدينة برقة نفسها فروع منهم، وحوالي مدينة قابس بالقرب من طرابلس تعيش من بينهما لواته وأصيلة غربي طنجة وأدغست وحصن إزمامة بالقرب من تلمسان كلها تعتبر لواته من سكانها وكان بجبل أوراس أمة عظيمة منهم واستمروا بهذا إلى عهد ابن خلدون مع قبائل من هوارة وكتامة.[1]

نفوسة : في الجانب الشرقي جبل "دمر"، تسكن أمم من نفوسة وهناك جبل يقع في طول الجبل السابق شرقا وفي إقليم طرابلس وقد تسمى بإسم نفوسة لأنها تسكنه، وبين ذلك الجبل وبين طرابلس ثلاثة أيام، وأهله من الخوارج وتقطن "نفوسة " كذلك في مدينة " قابس " بالقرب من طرابلس مع لماية ولواته وزواغة وغيرهم، كما يستوطنون مدينة "أودغست " ولواته وزناته ونفزاوة . [2]وكذلك كانت إزداجة ووزداجة كانت كلتاهما تسكن " وهران " في المغرب الأوسط .[3]

صنهاجة : وقد كانت هذه القبيلة أوفر القبائل عددا لعهد ابن خلدون وصلت بطونها إلى 70 بطنا وكانت في المغرب الأوسط وفي إفريقية فقد كانت صنهاجة تقطن المنطقة الجبلية ممتدة من جنوب بجاية إلى جنوب مدينة الجزائر،وبجانب ذلك استوطنت جماعة

1- البكري :نفسه، ص 17.

2- ابن عذراي المراكشي : البيان المغرب في ذكر أخبار المغرب والأندلس، ج 1، دط، ص175.

3- نفسه، ص175.

منهم بلاد المغرب الأقصى بجبال " درن " الشرقية " الأطلس الوسطى " وهؤلاء وصنهاجة جبل الثالث كما يطلق عليهم ابن خلدون .[1]

كتامة: هي قبيلة لها أهمية تاريخية، التي أقامت الدولة الفاطمية بجهودها، وكانت مواطنها في العهد الأول للإسلام من أرياف " قسنطينة "إلى تخوم بجاية غربا إلى جبل "أوراس"(من ناحية القبلة جنوبا) وكان بهذه المنطقة ديارهم المشهورة مثل جبل اينجان وسطيف، وباغة، وبلزمة، وتبكست، وقسنطينة وغيرها وبعد إنتقالهم إلى مصر بقيت لهم بقايا في جبل أوراس وقلعته وهنا به، ومن كتامة كذلك من سكن المغرب الأقصى وبناحية مراكشوأن كتامة كانت تسكن المغرب الأوسط مع صنهاجة وتحتل المنطقة مابين بجاية و قسنطينة، أي أنها تحتل تلك المنطقة التي يسميها الفرنسيون اليوم منطقة القبائل الصغرى، وكانت مساكن صنهاجة بالقرب من مساكنهم .[2]

لمطة وكزولة وهسكورة : تسكن هذه القبائل في السوس وما يليها من بلاد الصحراء كما يقيمون في البسائط من جبال درن، ويسمى " اليعقوبي " كزولة باسم "جزولة " ويذكر أنها تسكن قرب تلمسان حيث الجبل المتصل بالسوس قرب " تيهرت " ويقال لهذا الجبل " جزول " نسبة لهذه القبيلة لسكنها عليه، وهذا الجبل يسميه أهل سوس "درن " ويسمى تيهرت "جزول "كما يطلق عليه بالزاب اسم" أوراس ".وتجاوز لمطة وكزولة، وكثيرا ما قامت بينها المنازعات والحروب و أكثر أهل "لمطة " "ظواعن "، أما هسكورة، فمواطنهم هي جبالهم المتصلة من درن إلى تادلات من جانب الشرق، وإلى درعه من جانب القبلة.[3]

1- ابن خلدون: المصدر السابق، ص 181.

2- موسى لقبال :المغرب الإسلامي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2 ،1981، الجزائ، ص17.

3- حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد ضمن مشروع مكتبة الأسر، 1992، ص29.

المصامدة : هي من أوفر القبائل عددا وهم فروع كثيرة أشهرها :"برعواطة "و "غمارة"وهم يقيمون يقيمون في المغرب الأقصى وجبال درن ويعرفون بأنهم أهل الجبال إلا أن هناك عددا قليلا منهم يسكنون البسائط، ويسكن المصامدة كذلك في مدينة "بونة "وتشاركهم في هذه المنطقة أوربة وغيرها، كما يحتلون المسافة من" سبتة إلى طنجة " (أغمات)بالقرب من جبل الأوراس، يقطن المصامدة أيضا في المغرب الأقصى وأوربة وصنهاجة ومضغرة هذه أهم القبائل البربرية، وتلك مواطنها التي أقامت فيها، ومع ذلك فينبغي أن يلاحظ أن هذا التحديد الجغرافي لمواطن تلك القبائل، ليس دقيقا تمام الدقة لأن طبيعتها البربرية كانت تجعل انتقالها من مكان لآخر سهلا وميسورا.[1]

1- عبد الله محمد جمال الدين : المرجع السابق، ص23.

المبحث الثاني :العرب

قد دخل العنصر العربي مع مطلع الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب فالعنصر العربي دخل بلاد المغرب في صورة جيوش فاتحة، وقد استقرر جال هذه الجيوش في نواحي المغرب كله بعد إتمام الفتح، ولحقت بهم جماعات أخرى من الجند و المهاجرين العرب مع استمرار حركة الفتح وكانت نتيجة ذلك قيام مجتمعات عربية صغيرة معظمهم في المدن والمعسكرات، ومن هذه المراكز بدءوا ينتشرون في نواحي البلاد، ولحقت بهم جماعات من المهاجرين غير العسكريين أو غي الرسميين، وهؤلاء جميعا تكون منهم ما يعرف بالعرب البلدين أي عرب إفريقية الذين استقروا فيها واعتبروها وطنا لهم دون أن يتخلون عن عروبتهم فكانوا يتمسكون بأصولهم القبلية ويتحدون ضد الجند العربي الذي كانت ترسلهم الحكومة المركزية لإقرار الأمن في البلاد وقد عرف هؤلاء الجند العربي بالشاميين لا لأنهم جميعا من أهل الشام بل لأنهم كانوا يأتون من الشام ،ومن الواضح أن الجند العربي كان يتحول الكثير من رجالهم إلى العرب بلدين نتيجة الاستقرار في البلاد ومخالطة أهلها، ولهذه الطريقة كانت أعداد البلد بين تتزايد بصورة مستمرة .[1]

وبمجيء عقبة بن نافع الفهري الذي كانت خطته ترمي إلى تحقيق أهداف بعيدة المدى من تلك التي وضعها من سبقه من الفاتحين، تثبيت العرب في أفريقية من أجل نشر الإسلام وتعميم الرسالة وذلك ببناء حاضرة لقيروان التي أصبحت عنصرا جديدا يجدب العرب إلى المغرب بنية الجهاد أو الاستقرار لقد أدى تأسيس القيروان إلى تدفق

1- ابن وردان: تاريخ مملكة الأغالبة، تح محمد زينهم محمد عزب ،مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1408هـ 1988م ص22.

العائلات العربية عليها طوال القرون الأولى انتقلوا إليها مع الجيوش الفاتحة، كما استقروا في الرباط التي أنشئت في العديد من المناطق .[1]

ومن ثمة بدأ الكيان العربي في الظهور بجانب سكان البلاد من البربر والعناصر التي سبقتهم كالروم والأفارقة والسودانيين .والمتتبع للاستقرار العربي أنهم كانوا يستقرون في الحواضر الكبرى حيث تتواجد الحاميات العسكرية، وحيث تتوفر الإدارة العربية، وتسود الحضارة المدنية على عكس البربر خاصة منهم البتر، الذين يستقرون في الجبال والشعاب والوديان بحكم احترافهم للرعي والتربية الماشية.[2]

ففي مدينة بلزمة كان أغلب أهلها كما يقول اليعقوبي من "بني تميم "ومواليهم المناهضين للسلطة الأغلبية في هذا الوقت .[3]

وبنو تميم كما يقول ابن حزم هم قاعدة من أكبر قواعد العرب سكنوا مدينة بلزمة وهي بلد "محدث للعرب، وفيه بقاياهم إلى الآن" كما يقول ابن حوقل وقد كانت بلزمة إحدى المناطق الهامة المتنازعة عليها بين الأغالبة والفاطميين .[4]

وغير بعيد عن مدينة بلزمة يتجمع الجند في مدينة "نقاوس "، وفي عاصمتهم الزاب طبنة التي ينزل بها الولاة عناصر سكانية من قريش وسائر العرب و المولدين ، فإذا

1- ابن خلدون :المصدر السابق، ص 05.

2- ابن عبد ربه: العقد الفريد، تح محمد عبد القادر شاهين، المكتب العصرية ج3، صيدا بيروت، دط، 2004، ص 297

3- النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب، تح حسين نصار، ج24، دط ،1983،ص 71 .

4- ابن حزم : جمهرة أنساب العرب، تح عبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، ط3 ،1971 ، ص 199 .

قامت الحرب استمد العرب يعرب مدينة " تهوده " و "سطيف " فيما كان المولدون يستمدون بأهل بسكرة وما جاورها من البلاد.[1]

لقد اتجه العرب إلى تفضيل مناطق على أخرى فمثلا في تفضيل المناطق الأخرى عن الأوراس، في فاستقروا بأعداد كبيرة في طبنة وبسكرة وسطيف ومسيلة، لم يشهد التواجد العربي في منطقة الأوراس انتعاشا واستقرار حتى مجيء الهلاليين، الذين ساهموا في تغيير البنية السكانية للمنطقة، مما دفع ببعض قبائل الأوراس البربرية إلى تقليد العرب في أساليب المعاش.[2]

يرى حسين مؤنس أن العرب لم يبقوا منفصلين عن السكان المحليين على عادة المستعمرين السابقين للمغرب حدث تزاوج واختلاط بينهم وبين البربر، لأن العرب قدموا بلاد المغرب رجالا فاتحين لا نساء لهم، فكانت العادة أن يتزوج العربي من قبيلة بربرية فيكون الولد تبعا لوالده من حيث اللغة والدين .[3]

1- القاضي النعمان :إفتتاح الدعوة، تح فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، دط، تونس،957م، ص179.

2- موسى رحماني :رسالة ماجيستر بعنوان، الأوراس في العصر الوسيط من الفتح الإسلامي إلى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر (362.27 هـ637/972م)، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007،ص137.

3- حسين مؤنس :فتح العرب للمغرب، المكتبة الثقافية الدينية، ص 162.

المبحث الثالث: العجـــــم

سكن منطقة إفريقية منذ عصر مبكر عنصر الأمازيغ والأفارقة ،فضلا عما طرأ من الروم والرومان ، والعجم هم خليط جنسي فيهم من تجري في عروقه الدماء السامية القرطاجية ومنهم من انتسب إلى السلالة الآرية أي من بقايا الروم والرومان أو من الإيطاليين و خدامهم وكان ولائهم من يسيطرون على المنطقة ولبثوا حينا من الدهر على ولائهم للبزنطيين وأخذوا عنهم المسيحية ومظاهر الحضارة الرومانية وقد دان بعض هؤلاء بالإسلام، وتقلد بعضهم مسؤوليات إدارية وسياسية في ولاية إفريقية.[1]

والروم هم البيزنطيين الذين وجدوا في البلاد أنداك وكانوا حكام البلاد مع الفتح العربي اختفى معظمهم ولم يبقى منهم إلا جماعات قليلة كانت تقيم بالسواحل ومدنها خاصة قرطاجنة وكذلك في بعض بلاد الجريد ، أغلبهم اعتنقوا الإسلام وذابوا في سكان البلاد إلا من هاجر منهم إلى صقلية وغيرهم إلى البلاد الجنوبي الأوربي.[2]

1- موسى لقبال: المرجع السابق، ص 16.

2- ابن وردان : المرجع السابق، ص 21.

المبحث الرابع:الأفارق أو الأفارقة

هم خليط من الناس ، ومزيج من المستعمرين السابقين ، ونفرمن البربر ممن دخلوا في طاعتهم، وهم كما يوصفون حماة النظام من أهل قرطاجة أو رعاياها ومن الممكن إن يكون هؤلاء ومن المولدين انصبغوا بالحضارة الرومانية كما يكونوا اعتنقوا المسيحية تأسيا بسيادتهم، وامتلكوا الأراضي والإقطاعيات الزراعية مما جعلهم يستعينون بالفاتحين المسلمين ضد الكاهنة عندما عمدت إلى إتباع سياسة الأرض المحروقة لمنع المسلمين من التقدم نحو دول المغرب الأوسط[1].

يقول البكري:"وقال قوم إنما سمعوا الأفارقة وبلدهم إفريقية لأنهم من ولد فارق بن مصريم" أي أنهم سكان أصليون يضافون إلى البربر وهم العنصر الغالب على المغرب كله، ورغم أن كثيرا منهم دخل في الإسلام فقد بقي كثير منهم يتكلمون لغة خاصة بهم ، ربما تكون مزيجا بين البربرية و اللاتينية أو لهجة محلية ، وبشأن دخولهم في الإسلام يعتقد سعد زغلول عبد الحميد أن الذي دعاهم إلى ذلك هو سعيهم للمحافظة على ثرواتهم وممتلكاتهم من التدمير أو المصادرة.[2]

1- سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصر الإستقلال، ج 1، منشأة المعارف، دط الإسكندرية،1996، ص106.

2- البكري:المسالك و الممالك: تح طلبة، ج2، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، ص193.

المبحث الخامس:أهل الذمة

لقد أظهر خلفاء الفاطميين الأولون لأهل الذمة تسامحا نعجب له، إذ لا ينتظر دلك من قوم مثلهم، لهم مذهب خاص انفردوا به، و خالفوا به جمهور المسلمين. أما بالنسبة لأهل الذمة الدين يتمتعون بحقوق المواطنة، فقد جاء في هدا الصدد أن أبا عبد الله الشيعي سأل المتولي الذي أتاه بمال الخراج فقال له:" من أين هدا المال الذي بيدك؟ وقال :"جبيته من اليهود والنصارى جزية عن حول مضى لهم" ، فقال :" وكيف أخدنه عينا و إنما كان يأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من المليء ثمانية وأربعين درهما، ومن المتوسط أربعة وعشرين درهما، ومن الفقير اثني عشر درهما "[1]، فاستعان المعز لدين الله الفاطمي بكثير من الأطباء اليهود ، وما لبث أن عظم نفوذهم في بلاطه، وصار يعقوب بن كلس الذي أسند إليه المعز بعض دواوين دولته ، بتحيز إلى إخوانه في الدين من قبل وارتقى يعقوب في المناصب حيث أصبح وزيرا للعزيز بن المعز ، واليه يرجع الفضل في وضع قواعد الدولة ونظمها . كذلك اتسم عهد العزيز بالتسامح مع النصارى ،فزاد بلاطه في إكرامهم لما كان بينه وبينهم من صلة النسب إذ تزوج من مسيحية ،وكان لها إخوان رفعهما العزيز إلى أرقى مناصب الكنيسة .[2]

ففي أحدهما بطريركا للملكانيين ببيت المقدس سنة(375هـ- 985م)، وعين الثاني مطرانا للقاهرة ، ثم رقي في عهد الحاكم بطريركا للملكانيين بالإسكندرية وكان له ذه السيدة

1- فاطمة مصطفى عامر: تاريخ أهل الذمة في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي، ج2 دط ،دت، ص09.

2- أدم ميتز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع هجري أو عصر النهضة في الإسلام، ج2، دار الكتاب العربي بيروت، دط، ص 112.

نفوذ عظيم على العزيز، وقد بلغ من عطف العزيز على المسيحيين إن احتفل بأعيادهم ومواسمهم الدينية مشاركة لهم في شعورهم وكان منشأ بن إبراهيم الفرار اليهودي واليا على بلاد الشام ووالي عيسى بن سنطوريس كتابته .[1]

استاء المصريون المسلمون من انتشار الذميين بمناصب الدولة فقدموا للعزيز بالله الفاطمي الاحتجاجات على محاباته للمسيحيين واليهود ،وتبين للخليفة حقيقة استئثار الذميين بمعظم السلطات، كما أخذ في إصدار السلسة من الأوامر والقرارات تحوي قائمة بممنوعات توعد من يقدم عليها بالعقاب أو بالقتل والتعذيب ، فألزم أهل الذمة بلبس الغيار ومنحه من دخول حمامات المسلمين وهدم كنائسهم وبيعهم وأمرهم باعتناق الإسلام أو الخروج إلى بلاد الروم مما اضطر كثيرا منهم إلى اعتناق الإسلام كارهينا وأدت سياسة الحاكم المتشددة مع النصارى والملكانيين منهم بوجه خاص [2]، وهدمة لكنيسة قمامة ببيت المقدس سنة (398 هـ-1007م)، إلى الإضرار بتجارة الفاطميين مع البيزنطيين حيث قطع باسيل الثاني في سنة (406 هـ -1015م)، مجمع العلاقات التجارية مع الفاطميين خاصة أن أمر الحاكم في سنة (403 هـ- 1013م)، بهدم جميع كنائس الديار المصرية ووهب جميع ما فيها وما لها من رباع وأملاك إلى جماعة من الصقالبة والفراشين والتعدية، وقد لقي موقف الحاكم من النصارى، بصفة خاصة، قبولا من المسلمين النسبيين اللذين أبغضوا النصارى بسبب أعمال الابتزاز والمحاباة التي عانوها من موظفي المال النصارى .[3]

1- ابن عذاري: المصدر السابق، ص63.

2- ايمن فؤاد السيد: الدولة الفاطمية تفسير جديد، دار المصرية اللبنانية، ط1، 1992، ص102 .

3- نفسه، ص102.

المبحث الأول :البربر

يرجع علماء الأنساب القبائل البربرية إلى أصلين كبيرين هما البرانس والبتر وكل من يتفرع إلى شعب تنقسم إلى بطون متعددة.

فشعوب برانس يجمعهم سبعة أجدام هي يزداجة و مصمودة وأوربة وعجيسة وكتامة وصنهاجة و أوريغة ويضيف بعض العلماء إلى هؤلاء لمطة وهكورة وجزولة، أما البتر فينحصرون في أجدمة أربعة هي :نفوسة،ضربة وأداسة وبنو الأكبر [1]وليس هناك تناقض بين من يقسم البربر إلى قبائل عدة ويذكرها مفصلة[2]وبين المؤرخين الذين يختفون بذكر الأصول فحسب ذلك لأن البربر كانت أصول كبرى تفرقت إلى شعب انقسمت بدورها إلى بطون فمثلا هوارة حذرت من أوريغة وقبيلة مليلة انحدرت من هوارة و إنحذرت غمارة من مصمودة وتتفرع من قبيلة "لوا " تغزاوة" ولواته" ومن "سدراته "[3]

ونذكر من أهم مواطن القبائل البربرية:

مكناسة:هي فرع من زناته وكانت تسكن على وادي ملوية من أعلاه في سجلماسة إلى مصبه في البحر ومابين ذلك نواحي ملوية كرسيف ومليلة وماإليها من التلول بنواحي

---

[1]– ابن خلدون :العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر،بلاق دط،1284 هـ ،ص ص89،90.

[2]– شريف الإدريسي: المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس، ليدن، د.ط، 1864.1866،ص57.

[3]– ابن خلدون :المصدر السابق، ص129.

تازاوتسول[1]كما كانت تسكن حول سردنه وتلمسان بالإضافة إلى احتلالها قرب مدينة أدنه ويحتلون كذلك قلاع كثيرة في جبل أوراس مع هوارة[2].

ويذكر" الإصطخري" أن نفزة ومكناسة موطنهما الأندلس بين جلالقة وقرطبة و يبدو أن هناك فروع من هذه القبيلة عاشت في المغرب الأقصى، " فالبكري" يذكر أنه حوالي مدينة فاس من البربر وهوارة وأوربة ومكناسة فوق مساكن لهم في طبنة يشاركون فيها العرب وهوارة وجبل الأوراس الذي يطل على طبنة وعلى ما وراء ها تقطنه قبائل من مكناسة وأخرى من هوارة وهم يدينون بالمذهب الإباضي، كما تقطن زناته ومكناسة في جوف تيهرت الحديثة يمكن القول بأنه على طول وادي ملوية فيما بين المغرب الأوسط الأقصى كانت تنتشر قبيلة مكناسة.[3]

هوارة : أما هوارة فكانت تسكن أول الفتح في نواحي طرابلس وما يليها من برقة كما أن منهم من قطع الرمل إلى بلاد القفر في اتجاه السودان و يشتركون مع غيرهم من البربر في سكن جبل أوراس وهم مديونة يعيشون في المنطقة التي تسمى شنتبرية ومنهم من يقيموا قبل تيهرت الحديثة كما أن منهم فروعا تقيم بالقرب من أصيلة حول مدينة فاس وحوالي طبنة وبالقرب من تلمسان والذين يسكنون الأوراس .[4]

لواته: توجد جبال متصلة من الشرق إلى الغرب في قبلة قابس وطرابلس أولها من الناحية الغربية جبل يسمى "دمر " وتسكنه أمم لواته من جانبه الغربي، وهذا الجبل غربي "برقة

---

[1]– اليعقوبي : صفة المغرب، أوربا، ص06.

[2]– البكري :المغرب في ذكر بلاد المغرب افريقية والمغرب، دي سيلان باريس، ص144.

[3]– الإصطخري أبو اسحاق بن براهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي: المسالك والممالك، تح محمد جابر عبد العال الحيني، القاهرة، دط، 1961، ص 83 .

4– البكري : المصدر السابق، ص 17.

"وبطون لواته التي تسكنه هي زكودة ومغرطة وزنارة وهناك مدينة على البحر الأبيض بينهما وبين طرابلس خمسة أيام يسكنها البربر من زناته و لواته ومدينة برقة إلى فحص قرب الإسكندرية تسكن لواته وحوالي مدينة برقة نفسها فروع منهم، وحوالي مدينة قابس بالقرب من طرابلس تعيش من بينهما لواته وأصيلة غربي طنجة وأدغست وحصن إزمامة بالقرب من تلمسان كلها تعتبر لواته من سكانها وكان بجبل أوراس أمة عظيمة منهم واستمروا بهذا إلى عهد ابن خلدون مع قبائل من هوارة وكتامة.[1]

نفوسة : في الجانب الشرقي جبل "دمر"، تسكن أمم من نفوسة وهناك جبل يقع في طول الجبل السابق شرقا وفي إقليم طرابلس وقد تسمى بإسم نفوسة لأنها تسكنه، وبين ذلك الجبل وبين طرابلس ثلاثة أيام، وأهله من الخوارج وتقطن "نفوسة " كذلك في مدينة " قابس " بالقرب من طرابلس مع لماية ولواته وزواغة وغيرهم، كما يستوطنون مدينة "أودغست " ولواته وزناته ونفزاوة . [2]وكذلك كانت إزداجة ووزداجة كانت كلتاهما تسكن " وهران " في المغرب الأوسط .[3]

صنهاجة : وقد كانت هذه القبيلة أوفر القبائل عددا لعهد ابن خلدون وصلت بطونها إلى 70 بطنا وكانت في المغرب الأوسط وفي إفريقية فقد كانت صنهاجة تقطن المنطقة الجبلية ممتدة من جنوب بجاية إلى جنوب مدينة الجزائر،وبجانب ذلك استوطنت جماعة

1- البكري :نفسه، ص 17.

2- ابن عذراي المراكشي : البيان المغرب في ذكر أخبار المغرب والأندلس، ج 1، دط، ص175.

3- نفسه، ص175.

منهم بلاد المغرب الأقصى بجبال " درن " الشرقية " الأطلس الوسطى " وهؤلاء وصنهاجة جبل الثالث كما يطلق عليهم ابن خلدون .[1]

كتامة: هي قبيلة لها أهمية تاريخية، التي أقامت الدولة الفاطمية بجهودها، وكانت مواطنها في العهد الأول للإسلام من أرياف " قسنطينة "إلى تخوم بجاية غربا إلى جبل "أوراس"(من ناحية القبلة جنوبا) وكان بهذه المنطقة ديارهم المشهورة مثل جبل اينجان وسطيف، وباغة، وبلزمة، وتبكست، وقسنطينة وغيرها وبعد إنتقالهم إلى مصر بقيت لهم بقايا في جبل أوراس وقلعته وهنا به، ومن كتامة كذلك من سكن المغرب الأقصى وبناحية مراكشوأن كتامة كانت تسكن المغرب الأوسط مع صنهاجة وتحتل المنطقة مابين بجاية و قسنطينة، أي أنها تحتل تلك المنطقة التي يسميها الفرنسيون اليوم منطقة القبائل الصغرى، وكانت مساكن صنهاجة بالقرب من مساكنهم .[2]

لمطة وكزولة وهسكورة : تسكن هذه القبائل في السوس وما يليها من بلاد الصحراء كما يقيمون في البسائط من جبال درن، ويسمى " اليعقوبي " كزولة باسم "جزولة " ويذكر أنها تسكن قرب تلمسان حيث الجبل المتصل بالسوس قرب " تيهرت " ويقال لهذا الجبل " جزول " نسبة لهذه القبيلة لسكنها عليه، وهذا الجبل يسميه أهل سوس "درن " ويسمى تيهرت "جزول "كما يطلق عليه بالزاب اسم" أوراس ".وتجاوز لمطة وكزولة، وكثيرا ما قامت بينها المنازعات والحروب و أكثر أهل "لمطة " "ظواعن "، أما هسكورة، فمواطنهم هي جبالهم المتصلة من درن إلى تادلات من جانب الشرق، وإلى درعه من جانب القبلة.[3]

1- ابن خلدون: المصدر السابق، ص 181.

2- موسى لقبال :المغرب الإسلامي، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، ط2 ،1981، الجزائ، ص17.

3- حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب والأندلس، دار الرشاد ضمن مشروع مكتبة الأسر، 1992، ص29.

المصامدة : هي من أوفر القبائل عددا وهم فروع كثيرة أشهرها :"برعواطة "و "غمارة"وهم يقيمون يقيمون في المغرب الأقصى وجبال درن ويعرفون بأنهم أهل الجبال إلا أن هناك عددا قليلا منهم يسكنون البسائط، ويسكن المصامدة كذلك في مدينة "بونة "وتشاركهم في هذه المنطقة أوربة وغيرها، كما يحتلون المسافة من" سبتة إلى طنجة " (أغمات)بالقرب من جبل الأوراس، يقطن المصامدة أيضا في المغرب الأقصى وأوربة وصنهاجة ومضغرة هذه أهم القبائل البربرية، وتلك مواطنها التي أقامت فيها، ومع ذلك فينبغي أن يلاحظ أن هذا التحديد الجغرافي لمواطن تلك القبائل، ليس دقيقا تمام الدقة لأن طبيعتها البربرية كانت تجعل انتقالها من مكان لآخر سهلا وميسورا.[1]

1- عبد الله محمد جمال الدين : المرجع السابق، ص23.

المبحث الثاني :العرب

قد دخل العنصر العربي مع مطلع الفتوحات الإسلامية لبلاد المغرب فالعنصر العربي دخل بلاد المغرب في صورة جيوش فاتحة، وقد استقرر جال هذه الجيوش في نواحي المغرب كله بعد إتمام الفتح، ولحقت بهم جماعات أخرى من الجند و المهاجرين العرب مع استمرار حركة الفتح وكانت نتيجة ذلك قيام مجتمعات عربية صغيرة معظمهم في المدن والمعسكرات، ومن هذه المراكز بدءوا ينتشرون في نواحي البلاد، ولحقت بهم جماعات من المهاجرين غير العسكريين أو غي الرسميين، وهؤلاء جميعا تكون منهم ما يعرف بالعرب البلدين أي عرب إفريقية الذين استقروا فيها واعتبروها وطنا لهم دون أن يتخلون عن عروبتهم فكانوا يتمسكون بأصولهم القبلية ويتحدون ضد الجند العربي الذي كانت ترسلهم الحكومة المركزية لإقرار الأمن في البلاد وقد عرف هؤلاء الجند العربي بالشاميين لا لأنهم جميعا من أهل الشام بل لأنهم كانوا يأتون من الشام ،ومن الواضح أن الجند العربي كان يتحول الكثير من رجالهم إلى العرب بلدين نتيجة الاستقرار في البلاد ومخالطة أهلها، ولهذه الطريقة كانت أعداد البلد بين تتزايد بصورة مستمرة .[1]

وبمجيء عقبة بن نافع الفهري الذي كانت خطته ترمي إلى تحقيق أهداف بعيدة المدى من تلك التي وضعها من سبقه من الفاتحين، تثبيت العرب في أفريقية من أجل نشر الإسلام وتعميم الرسالة وذلك ببناء حاضرة لقيروان التي أصبحت عنصرا جديدا يجدب العرب إلى المغرب بنية الجهاد أو الاستقرار لقد أدى تأسيس القيروان إلى تدفق

1- ابن وردان: تاريخ مملكة الأغالبة، تح محمد زينهم محمد عزب ،مكتبة مدبولي، القاهرة، ط1، 1408هـ 1988م ص22.

العائلات العربية عليها طوال القرون الأولى انتقلوا إليها مع الجيوش الفاتحة، كما استقروا في الرباط التي أنشئت في العديد من المناطق .[1]

ومن ثمة بدأ الكيان العربي في الظهور بجانب سكان البلاد من البربر والعناصر التي سبقتهم كالروم والأفارقة والسودانيين .والمتتبع للاستقرار العربي أنهم كانوا يستقرون في الحواضر الكبرى حيث تتواجد الحاميات العسكرية، وحيث تتوفر الإدارة العربية، وتسود الحضارة المدنية على عكس البربر خاصة منهم البتر، الذين يستقرون في الجبال والشعاب والوديان بحكم احترافهم للرعي والتربية الماشية.[2]

ففي مدينة بلزمة كان أغلب أهلها كما يقول اليعقوبي من "بني تميم "ومواليهم المناهضين للسلطة الأغلبية في هذا الوقت .[3]

وبنو تميم كما يقول ابن حزم هم قاعدة من أكبر قواعد العرب سكنوا مدينة بلزمة وهي بلد "محدث للعرب، وفيه بقاياهم إلى الآن" كما يقول ابن حوقل وقد كانت بلزمة إحدى المناطق الهامة المتنازعة عليها بين الأغالبة والفاطميين .[4]

وغير بعيد عن مدينة بلزمة يتجمع الجند في مدينة "نقاوس "، وفي عاصمتهم الزاب طبنة التي ينزل بها الولاة عناصر سكانية من قريش وسائر العرب و المولدين ، فإذا

1- ابن خلدون :المصدر السابق، ص 05.

2- ابن عبد ربه: العقد الفريد، تح محمد عبد القادر شاهين، المكتب العصرية ج3، صيدا بيروت، دط، 2004، ص 297

3- النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب، تح حسين نصار، ج24، دط ،1983،ص 71 .

4- ابن حزم : جمهرة أنساب العرب، تح عبد السلام هارون، دار المعارف، مصر، ط3 ،1971 ، ص 199 .

قامت الحرب استمد العرب يعرب مدينة " تهوده " و "سطيف " فيما كان المولدون يستمدون بأهل بسكرة وما جاورها من البلاد.[1]

لقد اتجه العرب إلى تفضيل مناطق على أخرى فمثلا في تفضيل المناطق الأخرى عن الأوراس، في فاستقروا بأعداد كبيرة في طبنة وبسكرة وسطيف ومسيلة، لم يشهد التواجد العربي في منطقة الأوراس انتعاشا واستقرار حتى مجيء الهلاليين، الذين ساهموا في تغيير البنية السكانية للمنطقة، مما دفع ببعض قبائل الأوراس البربرية إلى تقليد العرب في أساليب المعاش.[2]

يرى حسين مؤنس أن العرب لم يبقوا منفصلين عن السكان المحليين على عادة المستعمرين السابقين للمغرب حدث تزاوج واختلاط بينهم وبين البربر، لأن العرب قدموا بلاد المغرب رجالا فاتحين لا نساء لهم، فكانت العادة أن يتزوج العربي من قبيلة بربرية فيكون الولد تبعا لوالده من حيث اللغة والدين .[3]

1- القاضي النعمان :إفتتاح الدعوة، تح فرحات الدشراوي، الشركة التونسية للتوزيع، دط، تونس،957م، ص179.

2- موسى رحماني :رسالة ماجيستر بعنوان، الأوراس في العصر الوسيط من الفتح الإسلامي إلى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر (362.27 هـ637/972م)، جامعة منتوري، قسنطينة، 2007،ص137.

3- حسين مؤنس :فتح العرب للمغرب، المكتبة الثقافية الدينية، ص 162.

المبحث الثالث: العجـــــم

سكن منطقة إفريقية منذ عصر مبكر عنصر الأمازيغ والأفارقة ،فضلا عما طرأ من الروم والرومان ، والعجم هم خليط جنسي فيهم من تجري في عروقه الدماء السامية القرطاجية ومنهم من انتسب إلى السلالة الآرية أي من بقايا الروم والرومان أو من الإيطاليين و خدامهم وكان ولائهم من يسيطرون على المنطقة ولبثوا حينا من الدهر على ولائهم للبزنطيين وأخذوا عنهم المسيحية ومظاهر الحضارة الرومانية وقد دان بعض هؤلاء بالإسلام، وتقلد بعضهم مسؤوليات إدارية وسياسية في ولاية إفريقية.[1]

والروم هم البيزنطيين الذين وجدوا في البلاد أنداك وكانوا حكام البلاد مع الفتح العربي اختفى معظمهم ولم يبقى منهم إلا جماعات قليلة كانت تقيم بالسواحل ومدنها خاصة قرطاجنة وكذلك في بعض بلاد الجريد ، أغلبهم اعتنقوا الإسلام وذابوا في سكان البلاد إلا من هاجر منهم إلى صقلية وغيرهم إلى البلاد الجنوبي الأوربي.[2]

1- موسى لقبال: المرجع السابق، ص 16.

2- ابن وردان : المرجع السابق، ص 21.

المبحث الرابع:الأفارق أو الأفارقة

هم خليط من الناس ، ومزيج من المستعمرين السابقين ، ونفرمن البربر ممن دخلوا في طاعتهم، وهم كما يوصفون حماة النظام من أهل قرطاجة أو رعاياها ومن الممكن إن يكون هؤلاء ومن المولدين انصبغوا بالحضارة الرومانية كما يكونوا اعتنقوا المسيحية تأسيا بسيادتهم، وامتلكوا الأراضي والإقطاعيات الزراعية مما جعلهم يستعينون بالفاتحين المسلمين ضد الكاهنة عندما عمدت إلى إتباع سياسة الأرض المحروقة لمنع المسلمين من التقدم نحو دول المغرب الأوسط[1].

يقول البكري:"وقال قوم إنما سمعوا الأفارقة وبلدهم إفريقية لأنهم من ولد فارق بن مصريم" أي أنهم سكان أصليون يضافون إلى البربر وهم العنصر الغالب على المغرب كله، ورغم أن كثيرا منهم دخل في الإسلام فقد بقي كثير منهم يتكلمون لغة خاصة بهم ، ربما تكون مزيجا بين البربرية و اللاتينية أو لهجة محلية ، وبشأن دخولهم في الإسلام يعتقد سعد زغلول عبد الحميد أن الذي دعاهم إلى ذلك هو سعيهم للمحافظة على ثرواتهم وممتلكاتهم من التدمير أو المصادرة.[2]

1- سعد زغلول عبد الحميد: تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصر الإستقلال، ج 1، منشأة المعارف، دط الإسكندرية،1996، ص106.

2- البكري:المسالك و الممالك: تح طلبة، ج2، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، ص193.

المبحث الخامس:أهل الذمة

لقد أظهر خلفاء الفاطميين الأولون لأهل الذمة تسامحا نعجب له، إذ لا ينتظر دلك من قوم مثلهم، لهم مذهب خاص انفردوا به، و خالفوا به جمهور المسلمين. أما بالنسبة لأهل الذمة الدين يتمتعون بحقوق المواطنة، فقد جاء في هدا الصدد أن أبا عبد الله الشيعي سأل المتولي الذي أتاه بمال الخراج فقال له:" من أين هدا المال الذي بيدك؟ وقال :"جبيته من اليهود والنصارى جزية عن حول مضى لهم" ، فقال :" وكيف أخدنه عينا و إنما كان يأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم من المليء ثمانية وأربعين درهما، ومن المتوسط أربعة وعشرين درهما، ومن الفقير اثني عشر درهما "[1]، فاستعان المعز لدين الله الفاطمي بكثير من الأطباء اليهود ، وما لبث أن عظم نفوذهم في بلاطه، وصار يعقوب بن كلس الذي أسند إليه المعز بعض دواوين دولته ، بتحيز إلى إخوانه في الدين من قبل وارتقى يعقوب في المناصب حيث أصبح وزيرا للعزيز بن المعز ، واليه يرجع الفضل في وضع قواعد الدولة ونظمها . كذلك اتسم عهد العزيز بالتسامح مع النصارى ،فزاد بلاطه في إكرامهم لما كان بينه وبينهم من صلة النسب إذ تزوج من مسيحية ،وكان لها إخوان رفعهما العزيز إلى أرقى مناصب الكنيسة .[2]

ففي أحدهما بطريركا للملكانيين ببيت المقدس سنة(375هـ- 985م)، وعين الثاني مطرانا للقاهرة ، ثم رقي في عهد الحاكم بطريركا للملكانيين بالإسكندرية وكان له ذه السيدة

1- فاطمة مصطفى عامر: تاريخ أهل الذمة في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي، ج2 دط ،دت، ص09.

2- أدم ميتز: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع هجري أو عصر النهضة في الإسلام، ج2، دار الكتاب العربي بيروت، دط، ص 112.

نفوذ عظيم على العزيز، وقد بلغ من عطف العزيز على المسيحيين إن احتفل بأعيادهم ومواسمهم الدينية مشاركة لهم في شعورهم وكان منشأ بن إبراهيم الفرار اليهودي واليا على بلاد الشام ووالي عيسى بن سنطوريس كتابته .[1]

استاء المصريون المسلمون من انتشار الذميين بمناصب الدولة فقدموا للعزيز بالله الفاطمي الاحتجاجات على محاباته للمسيحيين واليهود ،وتبين للخليفة حقيقة استئثار الذميين بمعظم السلطات، كما أخذ في إصدار السلسة من الأوامر والقرارات تحوي قائمة بممنوعات توعد من يقدم عليها بالعقاب أو بالقتل والتعذيب ، فألزم أهل الذمة بلبس الغيار ومنحه من دخول حمامات المسلمين وهدم كنائسهم وبيعهم وأمرهم باعتناق الإسلام أو الخروج إلى بلاد الروم مما اضطر كثيرا منهم إلى اعتناق الإسلام كارهينا وأدت سياسة الحاكم المتشددة مع النصارى والملكانيين منهم بوجه خاص [2]، وهدمة لكنيسة قمامة ببيت المقدس سنة (398 هـ-1007م)، إلى الإضرار بتجارة الفاطميين مع البيزنطيين حيث قطع باسيل الثاني في سنة (406 هـ -1015م)، مجمع العلاقات التجارية مع الفاطميين خاصة أن أمر الحاكم في سنة (403 هـ- 1013م)، بهدم جميع كنائس الديار المصرية ووهب جميع ما فيها وما لها من رباع وأملاك إلى جماعة من الصقالبة والفراشين والتعدية، وقد لقي موقف الحاكم من النصارى، بصفة خاصة، قبولا من المسلمين النسبيين اللذين أبغضوا النصارى بسبب أعمال الابتزاز والمحاباة التي عانوها من موظفي المال النصارى .[3]

1- ابن عذاري: المصدر السابق، ص63.

2- ايمن فؤاد السيد: الدولة الفاطمية تفسير جديد، دار المصرية اللبنانية، ط1، 1992، ص102 .

3- نفسه، ص102.

الفصل الثاني

الأوضاع العامة للسكان ومظاهر الإضطرابات فيها

المبحث الأول: الطعام

أ ـ طعام أهل الحكم

لقد كان أهل الحكم في بلاد المغرب الإسلامي في العهد الفاطمي مثلهم مثل حكام أي دولة آنذاك أي أنهم يتميزون عن باقي الناس العامة في كل الأمور من حيث اللباس والسكن وحتى الطعام.

فلقد كان عبيد الله المهدي يحب أكل الحوت البوري إلى درجة أنه يبعث أعوانه إلى مدينة باجة من أجل أن يحضروا له بهذا الحوت، وجاء في المصادر " أن هذا النوع من الحوت ليس له في الأفاق نظير يخرج من حوت الواحد عشر أرطال شحم من جلتها وأكثر يحمل إلى عبيد الله عسل حوتها في العسل ويصل طريا ".[1]

ومن هنا نستنتج أن المجتمع الفاطمي كان يحفظ الطعام ويصبر الأغذية، ويستعملون العسل كمادة حافظة للسمك.

وكان الخليفة المعز لدين الله يحب أكل التفاح المشرف ويرسل ولاته ليحضروا له حيث أخرج أحد من ولاته إلى جماعة طبقا فيه تفاح جليل فقال : "هذا التفاح جاءنا من المشرق من البلد الذي خرج منه المهدي والقائم ومن الضياع التي كانت به لهما."[2]

لقد كانت أرض الدولة الفاطمية خصبة صالحة للزراعة لدى نجد فواكهها وثمارها طازجة ولذيذة وجيدة، كذلك صحة هواءها واتساع غلاتها مثل الزيت والسمن والعسل والحبوب .[3]

1- البكري:المصدر السابق، ص 57.

2- القاضي النعمان :المجالس والمسايرات، تح الحبيب الفقي وإبراهيم شبوح، ومحمد العيلاوي، الجامعة التونسية وكلية الإنسانية، تونس، دط، 1978،ص 293.

3- إبن حوقل : صورة الأرض،منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، دط، 1996، ص75.

ضف إلى ذلك أنا موائد الفاطميين لا تخلوها أطباق الحلوى الشهية والكعك والمشروبات ونجدها خاصة في المناسبات والأعياد الدينية ويوزعونها على العلماء وغيرهم خاصة في رمضان فكانوا يأكلون في السهرة كعكا معجونا بالسكر وكل ما هو حلو.[1]

ب- طعام العامة :

بعد الحديث عن طعام أهل الحكم لابد من التكلم عن طعام عامة الناس وما يحضره من أنواع على موائد.

لقد كانت ما لقد كانت موائد عامة الناس في المجتمع الفاطمي مزودة هي الأخرى بأطباق من الطعام والأغذية والأشربة، وكذلك الفواكه الجيدة والتمور والأرطاب كما لا تخلو كذلك من اللحوم بكل أنواعها :الجمل، الأغنام، البقر وغيرها من الثروة الحيوانية الهائلة التي تملكها الدولة الفاطمية.[2]

ومن الأطباق المشهورة عند أهل المغرب الإسلامي عموما نجد الحريرة فمثلا نجد"الحسن بن نصر الفقيه " إذا صام دخل بعد صلاة المغرب فطر على الحريرة مع الحوت المقلي . ولا تزال الحريرة تحضر في المدن الشرق الجزائري وتونس إلى يومنا هذا.[3]

وكانوا يأكلون كل الأصناف من الثمار والفواكه اللذيذة مثل الثمر والخوخ والمشمش والتين والعنب والرمان وغيرها .[4]

وكان طعام المرأة النفساء بعد وضعها لمولودها يختلف على باقي النساء ، حيث كان يعطي لها الطبيخ المسلم بالمرسي ،وسيمونة في تونس بالزرير، ويكون مزيج من الأبزاز

1- المالكي: رياض النفوس، تح بشير بكوش وأحمد العروسي المطوي، ج2، دار الغرب الإسلامي لطباعة و النشر بيروت، دط، 1989،ص 394.

2- ابن حوقل : المصدر السابق، ص95.

3- المالكي: المصدر السابق، ص394.

4- ابن الخير الإشبيلي: عمدة الطبيب، في معرفة النبات، ج2، ص428.

والبهارات، فتأكله النفساء من أجل أن يعينها على الطمث ولتنظيف بطنها من الدماء المتبقية.[1]

1- حسن حسين عبد الوهاب: ورقات عن الحضارة العربية بإفريقيا، ج3، ص 371 .

المبحث الثاني :اللباس

أ ــ لباس أهل الحكم:

لقد تنوعت الألبسة حسب طبقات السكان فمنها ما كانت تتميز بالبساطة ومنها ما هي ذات جودة رفيع ة وأنيقة فقد كان البربر يلبسون عباءات الصوف الشبيهة "بالكردون" ومعطفا شبيها بالبرنس وظلوا دهرا طويلا يضعون على رؤوسهم إكليل من الريش يظهر اليوم في الصخور المنقوشة ، كما كانوا يتزينون بالحلي نساءا ورجالا ، فالرجال يضعون أقراطا في أذانهم والنساء خلاخل في أرجلهن وكان جميعهم يحملون أسورة وقلائد . [1] وكان القائم بأمر الله يلبس جبة صوف وعلى رأسه قلنسوة صوف وفي عنقه سبحة .[2]

ولما استدعى المعز مجموعة من الشيوخ كان المجلس مفروش باللبود على مطارح وحوله كساء وعليه جبة، وكان ذلك في يوم شتاء بارد فقال لهم :"يا إخواننا أصبحت اليوم في مثل هذا الشتاء والبرد ، فقلت لأم الأمراء : أترى أخواننا يظنون أن في مثل هذا اليوم نأكل ونشرب ونتقلب في المثقل[3] والديباج[4] والحرير والفنك[5]... كما يفعل أربابنا في الدنيا"[6]

كان عبد الله يلبس ثوب خزا داكن ، وعمامة مثله وابنه القاسم ثوب خز خلوقي وعمامة مثله أما عبيد الله فكان يلبس ثوب توتي وضهارة كنان وعمامة ومنديل إسكندراني. [7] كما ارتدوا المظلة المذهبي وثوب من الحرير مرقوم بالذهب يقال له بذنة. [8] وارتدوا قميص من

1- شارل أندري جوليان: تاريخ إفريقيا الشمالية، تع محمد مزالي البشير بن سلامة، مؤسسة توالت الثقافية، ط1 1968 ص 64.

2 - ابن أبي دينار:المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، مطبعة الدولة التونسية بمحاضرتها المحمية، ط1، 1286، ص55.

3- المثقل :من الثياب ما كان منسوجا بالذهب، المقريزي المصدر السابق، ص 95.

4- الذيباج: من أقدم الأقمشة الثمينة المعروفة بالمشرق قبل الإسلام وكان يصنع في الصين وأرمينيا ويغلب أنة يكون من الحرير، نفسه، ص 95.

5 - الفنك: نوع صغير من الثعالب وفروته أحسن من الفراء و أعدلها، والمقصود هنا باللفظ الفراء لا الحيوان، نفسه ص 95.

6- نفسه، ص 95.

7- ابن عذاري: المصدر السابق، ص 53.

8 البدنة : تكون فوق الملابس مثل العباءة وهي فضاضة وكانت من اللباس الشعبي توصف بأنها صديري قصير بغير كمام يصنع من الكتان أو الحرير،حسن خضيري، المرجع السابق، ص 269.

نفس لون العمامة مذهبة ومرصعة. فقد كان الخليفة يرتدي أحسن زي في موكب يحفه خلق عظيم .[1]

ب ــ لباس العامـــــــة

وكان عامة الناس من البربر يلبسون المناديل، يحدثنا أبو الحسن ابن القاسي :" ذكر لي من أنه كان جالسا في أسقفيه حتى دخل عليه شيخ ذو هيئة جميلة وقد علاه صفار [2] وسمت وحسوع وعلى رأسهم منديل مهبلي ."[3]

وكان بعض الزهاد يلبسون الطاشيرة وهي عبارة عن رداء يلبس فوق العمامة وهي تشبه إلى حد كبير ما يعرف بالبلاد التونسية باللحفة إلا أنها من قماش .

وكان عامة السكان أيضا قد أوبروا الصوف وعلى رؤوسهم كرارى الصوف ولباس حصانها ثياب القطن والمازرو ومن مدينة سلي وتكرور إلى مدينة سجلماسة .

ومن أبرز الثياب التي كانت تضع من النسيج المعتمدة آنذاك من قطن الواحة والصوف المتوفر بالمنطقة "تامللت"ولا سيما صوف حصن برارة في الطريق بين سجلماسة يحدثنا البكري قائلا :"هو بلد يحسن فيه الغنم وصوفها أجود الأصواف حيث يعمل منه في ثياب يبلغ الثوب منه عشرين مثقال وقد اشتهر اللباس السجلماسي في المغرب وهو يشبه الدرجيني.[4] في ثوبه ولونه ولكنه يفوقه جودة.[5]

1 ـ حسن خضيري: نفسه، ص 269.

2 ـ صفار :صفرة تعلو لون من الشحوب والمرض،المالكي :رياض النفوس، المرجع السابق، ص53.

3 ـ الداعي ادريس :المصدر السابق، ص 03.

4 ـ الدرجيني: نسبة إلى درجين وهي مدينة بالقرب نفطة وهي أخر بلاد الجريد، بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية في ذكرى الأستاذ أحمد فكري 16 أكتوبر 1976، مؤسسة شباب الجامعة ، 40 شارع مصطفى مشرفة الإسكندرية 2000 ص 150.

5ـ نفسه، ص 151

المبحث الثالث: الاحتفالات

أ ـ الأعياد الدينية:

لقد بلغت الاحتفالات الدينية درجة واضحة من المبالغة والإسراف والتأنق ولعل مرد ذلك إلى وفرة المال والثراء في العصر الفاطمي، هذا فضلا لما هو معروف عن الدولة الفاطمية من أنها دولة دعوة دعاية فهي تدعو إلى مذهب معين في بلاد وبين أناس ربما لا يتحمسون للأخذ بهذا المذهب، ومن بين مظاهر الاحتفالات في الدولة الفاطمية في المغرب نذكر الاحتفالات برأس السنة الهجرية الاحتفال بالمولد النبوي ...الخ .

أما عن الاحتفال بالمولد النبوي في المغرب فيذكر ابن أبي دينار أنه من أعيادهم المشهورة ومواسمهم المذكورة تعظيم ليلة المولد الشريف.[1]

ويزعم أن أول من أدخل الاحتفال بالمولد النبوي في بلاد المغرب السلطان أبو عنان المريني، ثم اقتضى به بنو أبي حفص في الديار التونسية ، فقد ذكر ابن عذراي أن المرتضي الخليفة الموحدي كان يقوم بليلة المولد خير قيام ويفيض فيه الخير والأنعام، ومن المظاهر المألوفة في هذا العيد قراءة السيرة النبوية في المساجد .[2]

وعن الاحتفال بشهر رمضان فقد عني الفاطميون به عناية خاصة واستعدوا له من قبل قدومه ، فقد كان من عادت الخلفاء الفاطميين أن يأمروا بإغلاق جميع قاعات الخمارين وتختم حوانيتهم ويمنع الخمر إبتداءا من أول رجب حتى نهاية شهر رمضان، وترسل الكتب إلى جميع البلاد التابعة للخلافة وبهذا تبدأ احتفالات هذا الشهر ويكون أولها ركوب الخليفة وبصحبته الوزير وحوله حرسه الخاص وثمة ظاهرة غريبة نلخصها عند الفاطميين وهي أن صيام شهر رمضان عند المسنين ينتهي بمجرد ظهور القمر ، سوءا أكان شهر شعبان تسعة

1- عارف تامر:المعز لدين الله الفاطمي واضع أسس الوحدة العربية الكبرى، ط 1،دار الأفاق الجديدة، بيروت، 1982،ص194.

2- محمد جمال الدين سرور المرجع السابق، ص145.

وعشرين يوما أم ثلاثين بينما شهر رمضان عند أهل الشيعة ثلاثين يوما دائما وزعموا أنه من أسرار النبوة.[1]

لقد أعطى الفاطميون عناية خاصة للأعياد فطبعوها بطابعهم الخاص فكانت أعيادهم واحتفالاتهم في كل يوم جمعة وصلاة العيدين ، حيث كانت تقام ليلة عيد الفطر بالإيوان الكبير الذي يواجه مجلس الخليفة سماط كبير وضخم تنثر عليه صنوف الفطائر والحلوى الشهية ، فإذا ما انتهى الخليفة من أداء صلاة الفجر عاد إلى مجلسه وفتحت أبواب القصر والإيوان على مصا ريعها وهرع أنه سل من جميع طبقات إلى سماط الخليفة وتناولوا مما عليه من الطعام بمشهد من الخليفة ووزرائه وحينما تبزغ الشمس يخرج الخليفة في موكبه إلى الصلاة وإذا ما عاد الخليفة وجد سماط فيجلس أمام مائدة من فضة يقال لهما " المدورة " يقابلها سماط ضخم يتسع لنحو خمس مئة مدعو ، وكان يجلس إليه رجال الدولة والعظماء.[2] أما عيد الأضحى فكان لا يختلف كثير عن عيد الفطر إلا أنه يختلف عنه في بعض الرسوم الخاصة بالنحر.

ويبدوا أن الاحتفال بعاشوراء لم يظهر كاملا أثناء وجود الفاطميين في بلاد المغرب، وإنما بدأ كخطوة باهتة، ومن المرجح أن بني زيري كانوا يحتفلون بهذا اليوم في بلاد المغرب على نفس الرسوم المعمول بها في مصر. يقول البكري عند ذكره للمونستير: (وله في يوم عاشوراء منصب عظيم ومجمع كثير).[3]

هذا فضلا عن قبيلة صنهاجة وعشائرها كانت تشكل نسبة كبيرة من قطاعات السكان في إفريقية وتدين بمذهب الدولة الرسمي وهو المذهب الإسماعيلي، ومن الأعياد القديمة التي احتفل بها سكان المغرب عيد "النيروز" [4]

وقد كان هذا العيد يبدأ مع بداية فصل الربيع، وكان المعز يستنكر خروج أهل إفريقية للشرب والمجون في هذا الفصل فقد اعتاد الناس الخروج في الربيع عندما يخضر شجرها

1- حسن خضيري أحمد :الرجع السابق،ص 273.

2- عارف تامر: المرجع السابق،ص195.

3- حسن خضيري :المرجع السابق، ص 273.

4- جمال الدين سرور :المرجع السابق،ص147.

ويتفتح زهره، حاملين معه الكثير من ألوان الأطعمة وخبائث الأشربة وآلات اللهو مما جعل المعز يستنكر عادتهم ويطلب منهم الإستعاظة بالاعتبار والتفكير في قدرة الله لقوله تعالى:«إن في ذلك آيات لقوم يتفكرون» .

ويبدوا أن عادات الاحتفال بالنيروز ظلت باقية في بلاد المغرب، ويصف ابن أبي دينار هدا اليوم بقوله " ومن أيامهم المشهورة أول يوم من شهر مايو فإنهم ينفقون فيه أموال لا تحصى ويكثرون فيه من الرياحين، ويباع في هدا اليوم من النارنج والليمون والحلو بقدر ما يباع في السنة كلها ويتزاوجون إلى المغاني وآلات الطرب لما لا حد له[1]

ومن الظواهر الاجتماعية التي تستحق التسجيل ظاهرة اختلاط الرجال بالنساء في بلاد المغرب في الأعياد، لما دخل المهدي بن تومرت ببجاية لقي بها الصبيان في زي النساء بالضفائر والأخراس والزينة وشواشي الخز ثم حظر عيدا فرأى فيه اختلاط الرجال بالنساء والصبيان المتزيين .[2]

ب ـ الـــــــــزواج:

ومن الاحتفالات الأسرية نذكر منها الزواج، حيث يذكر المقريزي أن قيمة ما يقدمه الخلفاء والأمراء عند الزواج مهر كبيرا، فنجد الخليفة الأمر عندما تزوج السيدة " علم الأمرية " فقد كتب صداقها وجعل المقدم أربعة عشرة دينار، وكانت احتفالات الزواج على درجة كبيرة من الفخامة المتميزة بمظاهر الثراء، فتوزع الهبات الثمينة، وتنثر الأموال على العامة.

كما اتسمت احتفالات الزواج ببلاد المغرب بالبذخ والمغالاة في المهور إلى حد تجاوزت فيه مظاهر البذخ والإسراف التي كانت عند الفاطميين .[3]

وينقل لنا ابن عذارى صورة عن احتفالات الزواج في عصر الدولة الزيرية (413 هـ – 1022م)، بقوله "تعرس المعز فكان له عرسا ما تهيأ قط لأحد من ملوك الإسلام "، وعن

1– حسن خضيري: المرجع السابق، ص 274.

2– جمال الدين سرور :المرجع السابق، ص 147.

3– حسن خضيري :المرجع السابق، ص 208.

الاحتفالات بمناسبة زواج "الأميرة أم العلو" شقيقة المعز انه تم تزيين الديوان المعظم تمجيدا لها، ودخل الناس خاصة وعامة ليشاهد صنوف الجوهر والأسلاك والأمتعة النفيسة وأواني الذهب والفضة ما لم يعمل مثله ولا سمع لأحد من ملوك قبله، ويقول ابن الرقيق "فبهر عيون الخلق حالة ما عاينوه وأبهتهم عظيم ما شاهدوه وحمل كل دلك إلى مكان شيدت فيه المباني والقباب و الأخبية وكان مهر العروس محمل على عشرة بغال وعلى ظهر كل بغل توجد جارية حسناء وكان جملة الأحمال ما يعادل 100 ألف دينار نقدا وقد قوم بعض حذاق التجار هدايا الأميرة فقدرت بما يزيد على مليون دينار .[1]

وكان من الطبيعي أن تكون احتفالات الزواج في الدولة الحمادية على جانب كبير من البذخ والإسراف و الإسراف وبالذات أمراء هده الدولة، فعندما تم الصلح بين تميم بن المعز وابن عمه الناصر بن علي ناس،زوجة ابنته"بلارة" وجهزها إليه من المهدية في عساكر عظيمة وذخائر وبلغ مهر بلارة ثلاثين ألف دينار دهب فاخذ والدها دينار ورد الباقي .

ونستشف مما سبق بعض الملامح التي لم يشهد لها التاريخ مثيلا لها في اي اسرة حاكمة في المغرب، كما نلاحظ تقليدا أمراء بني زيري للخلفاء الفاطميين في البدخ وساعدهم الرخاء الاقتصادي الإفريقية على إشباع هذا الميل .[2]

إن الزواج في الدولة الفاطمية لا يختلف كثيرا عما عليه في الوقت الحالي، حيث كان يختار الشاب الفتاة التي يريد الزواج منها، إلا أنها أساس الزواج السعيد والمستقر، فقد انتبه المعز لجين الله الفاطمي لهدا الأمر بالنسبة للمقبلين على الزواج، وأوصى القاضي بضرورة التحدي عند اختيار الزوجات و دللك قبل تزويج ولديه حسب رأيه " فقليل ما تقع الموافقة من النساء ".[3]

1- القاضي النعمان : المجالس والمسيرات، المصدر السابق، ص 544.

2- نفسه، ص 544.

3- حسن خضيري: المرجع السابق، ص209.

ج ــ الختـــــان:

لقد استمر ت عملية الختان عند الفاطميين بالمغرب الإسلامي كغيرهم وذلك سنة(351 هـ- 962م)، قرر المعز لدين الله ختان أبنائه فأشرك الرعية في هذه الفرحة وحتم عليهم تقديم أبنائهم الصغار ليختنوا، فقد ختن في المنصورية وحدها نحو ربع مليون من الصبيان وكان الرجل يكره أن يختن لابنه منفردا [1]، ولذلك يحكى عن الخليفة المقتدر أنه في سنة (332 هـ - 944م)، ختن خمسة من أولاده، وختن قبل ذلك جماعة من الأيتام ونثر في هذا الختان خمسة آلاف دينار عينا ومائة ألف درهم ورقا و فرقت فيه دراهم وكسوة[2] ويقال أنه بلغت النفقة فيه ست مائة دينار كما وضح لنا القاضي النعمان في كتابه طريقة الختان الجماعي: ((و الخاتنون في السرادقات على الكراسي، وبين أيديهم المنابر يجلسون الصبيان، والقوم يمسكونهم في حجورهم، ويذرون الذرارات الممسكة للدم على ختانتهم ويقفون البخور، وماء الورد على رؤوسهم ويرشونهم على وجوههم، لما يعتريهم من الروع، والبند بأصناف الملاعب قيام عليهم يلهونهم، ويصحبون من ظهر منهم يزفون به إلى منزله)) .[3]

كما كان المعز يطهر في اليوم من أيام الشهر بحضرته اثنا عشر ألف صبي، وفوقها ودونها، وختن من أهل صقلية وحدها خمسة عشر ألف صبي وكان وزن خرق الأكياس المفرغة مما أنفق في هذا الأعذار مائة وسبعين قنطارا، واستدعى المعز وهو بالمنصورية في يوم باردة الريح عدة شيوخ نم شيوخ كتامة و أمر بإدخالهم إليه من غير الباب الذي جرى الرسم به، فإذا هو في مجلس مربع كبير مفروش باللبود على مطارح وحوله كساء وعليه جبة، وحوله أبواب مفتحة تفضي إلى خزائن كتب.[4]

1- عارف تامر: المرجع السابق، ص 194.

2- أدم متز: المرجع السابق، ص 299.

3- القاضي النعمان: المجالس والمسايرات، المصدر نفسه، ص554.

4- المقريزي: المصدر السابق،ص 95.

المبحث الرابع: العادات والتقاليد:

يعمل المجتمع على المحافظة على كيانه بالتمسك بمجموعة من السلوكيات التي تعبر عن أصالته و ثقافته وتميزه عن غيره من المجتمعات يطلق عليها العادات والتقاليد،باعتبارها جزء من هوية المجتمع الثقافي والطبيعي، ويقوم هذا المجتمع بحمايتها والمحافظة عليها و إصلاحها ونقلها إلى الأجيال المقبلة، وتختلف هذه العادات والتقاليد من بلد إلى آخر ومن مجتمع إلى آخر، فبالنسبة لبلاد المغرب الإسلامي ظلت العادات فيها متصلة، وليدة التاريخ الطويل ولدا كان سبيلنا جمع كل هذه العادات التي جاءت بها المصادر حتى نصل إلى إعطاء القارئ صورة عن عادات وتقاليد مجتمع المغرب الإسلامي في العهد الفاطمي.[1]

لقد كان أهل المغرب يعرفون ن إكرام الضيف والمارة ويطعمون الغريب ويتميزون بأخلاق حميدة.فلما هاجر أبو عبد الله الشيعي مع ابتاعه من الكتاميين إلى قبيلة بنو غشمان استضافهم الغشمانيون فذبح لكل منهم شاة لضيفه واحتفل به،ولقد قال ابن حوقل في هدا الصدد : ((وأكثر بربر المغرب الذين في سجلماسة إلى السوس واغمات وفاس إلى نواحي تاهرت وإلى تنس والمسيلة وبسكرة وطبنه وباغاية إلى اكربال وأزفون ونواحي بونة إلى مدينة قسنطينة الهواء وكتامة وميلة وسطيف يضيفون المارة ويطعمون الطعام)).وكذلك ذكرها القاضي النعمان بأن المجتمع الفاطمي يتميز بإكرام الضيف والقيام بواجبه الكامل نحوه، فذكر أن بعض الحجاج الدين صحبهم أبو عبد الله الشيعي، لما حظروا من المنى اشتروا له شاة فذبحوها، وهيؤا له الطعام واتوه به فقال: ما هذا ؟ قالوا هذه : سنتنا في الضيف وأنت ضيف فينا .[2]

كما تميز سكان المغرب الإسلامي بالشهامة والتجمل في اللباس وحسن القصد في المعاش إلى مروآت ظاهرة وعشرة حسنة ورحمة ونيات جميلة، [3]وقد أوجدت داخل المجتمع الفاطمي روابط بين الأسر فيما بينهم ويتضح دلك من خلال مصدر افتتاح الدعوة، حين أرسل صاحب صيلة إلى بني سكتان من كتامة يطلب إليهم تسليمه أبو عبد الله الشيعي قالوا

[1]– ابن حوقل :المصدر السابق، ص91.

[2]– القاضي النعمان :افتتاح الدعوة ، المصدر السابق،35.

[3]– المالكي: المصدر السابق، ص 402.

((ما كنا ممن يسلمه ولا يخذله ولا يدع أحدا تمتد يده إليه، وهو ضيفنا وبين أظهرنا))وهدا يعني أنهم يتميزون بحسن الجوار وحق الجار على جاره وعدم التعرض له وإكرامه .[1]

ويقول ابن حوقل :((...وفيهم ملوك ورؤساء ومقدمون في القبائل يطيعونهم فلا يعصونهم ويأمرونهم فلا يخالفونهم)) ، وهذا يعني أن بلاد المغرب الإسلامي تقوم على نظام باحترام هذا شيخ القبيلة ويقومون الناس باحترام هذا الشيخ لأنه يحل النزاعات والصراعات فيما بين الناس وخاصة الصراعات التي تدور حول الميراث والأراضي كما عرف سكان المغرب الإسلامي بشدة تمسكهم بالدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .[2]

وشهدوا مجموعة من العلماء والزهاد اللذين لعبوا دورا هاما في مجال العلم وزرع القيم النبيلة داخل المجتمع ، ضف إلى ذلك أن سكان المجتمع المغاربي أكثر فرسان، يتقنون ركوب الخيل، وحمل السلاح وكان لهم ذلك فخر ومعزة ونلتمس ذلك من خلال جواب بعض رجال كتامة على السؤال الذي وجهه لهم الداعي أبو عبد الله قال لهم :((فعندكم الخيل والسلاح ؟ قالوا...ذلك أكثروا كسبنا، و به نفخر وإياه نقتدي لحاجتنا إليه)) ، كما لا يخلوا سكان بلاد المغرب الإسلامي من التعصب داخل القبيلة الواحدة، فحين انقسم بني سكتان أنفسهم بين مؤيد ومعارض لأبي عبد الله الشيعي ومعارض له،فقامت منازعات بينهم،[3] وذلك حينما صار جمع عظيم من المؤيدين حين راؤهم المعارضون ثاروا عليهم، وركبوا خيلهم وأخرجوا رحلهم وعدتهم وتلقوهم كما كانت بلاد المغرب الإسلامي تحمل الكثير من المذاهب والأفكار فنجد من بينها المذهب المالكي الذي اعتنقه المغاربة وآمنوا به وتعصبوا له، لأن هذا المذهب يتميز بالشدة والصلابة والبعد عن أسباب الترف وقد وجدت تلك الصفات في نفوس المغاربة التي تميل إلى التشدد بما يؤمنون، فمن كان مالكيا قبلوه وأحبوه، ومالوا إليه ومن كان غير ذلك حاربوه والمجتمع المغاربي كغيره من المجتمعات للاعتقادات الغربية ومن أهمها فكرة ظهور المهدي المنتظر والذي سوف ينشر العدل في الأراضي بعدما ملئت ظلما ومن بين الاعتقادات كذلك التي اشتهر بها سكان المغرب الإسلامي وخاصة .

[1]– الذباغ :معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان، ج2،المطبعة العربية التونسية، 1907، ص363.

[2]– ابن حوقل :المصدر السابق،ص 199.

[3] – القاضي النعمان: المصدر السابق، ص 93.

قبيلة زناتة لقراءة الكف ، والكثير كذلك من الإعتقادات التي كانت وليدة الجهل والتخلف داخل المجتمع الفاطمي.[1]

المغرب الإسلامي كغيرهم من مظاهر الآفات الاجتماعية كالسرقة والعصابات ونهب أموال التجار وأصحاب المال، ودليل ذلك اعتراض بعض اللصوص طريق الفقيه أبي العباس بن إبراهيم الأزدي الصائغ فاخذوا ماله وقتلوه .كما انتشر الفساد وسط المجتمع وشرب الخمر واللهو وخاصة في عهد أبي عبد الله الشيعي وكان أكثر انتشارا في القيروان.[2]

فأمر أبي عبد الله أهل المدينة بقتل كل من خرج ليلا أو شرب خمرا أو حمله أو وجد عنده كما انتشرت ظاهرة أخرى خبيثة داخل المجتمع الفاطمي إلا وهي ظاهرة اللواط خاصة في مدينة سطيف وذكر ابن حوقل أن أبى علي أبي سعيد يقول: ((إنه لا يبلغ بهم فرط المحبة في إكرام الضيف أن يأمر الصبي الجليل الأب والأصل الخطير في نفسه بمضاجعة ضيفه ليقضي منه همته وينال منه الحرام وربما وقعت شهوة أحد الباطل في جليل من فرسانه و شجعانهم فلا يمتنع عليه منه مطالب من الباطل ويرى ذلك كرما وفخرا و الآباء عنه عارا و نقصا)).[3]

أ ـ دور المرأة

تبدوا أهمية هذا الموضوع في الدور الذي قامت به المرأة في فترة العهد الفاطمي في بلاد المغرب وإلقاء الضوء على أحوال المرأة في هذا العهد في جميع جوانب الحياة وتعددت أدوار المرأة فقد كانت تعين الزوج في الحصول على القوت اليومي للعائلة وذلك من خلال نسجها للنسيج فقد ذكر أبو الحسن بن القابسي أنه كان عيشه من كد امرأته حيث كانت تشتري الكتان فتغزله وتنسج منه أبدانا فتبيعها فما كان فيها من فضل تقوتا به واشتريا برأس ماله كتانا فمن هذا كان عيشهما .كما كانت المرأة مهتمة ببيتها وزوجها وأولادها ضف إلى ذلك أنها كانت عونا لزوجها حتى في أعمال البناء وإصلاح الجدران ودليل ذلك لما جاء في

[1]– الصنهاجي :أخبار ملوك بني عبيد وسيرتهم، مطبعة جول كاربونيل، الجزائر، 1935،ص 26.

[2]– الإدريسي : المغرب العربي من نزهة المشتاق، ص143 .

3– ابن حوقل :المصدر السابق، ص200.

المصادر أن زوجة الفقيه الحسن بن نصر كانت تكور له الطين بيديها وتناوله إياه يلمس به الحائط.[1]

كما نجد المرأة كذلك تشتغل في المتاجر الرقيق فحينما عزم عبيد الله على شراء خادم لولده القائم اشتراه له من امرأة من سجلماسة وكان من النساء من يبتغن الأجر مثل امرأة يحي بن يوسف المعروف بابن الأصم الأجاني وكان من أصحاب الحلواني الذي قدمنا ذكره ومات قبل دخول أبي عبد الله بدهر طويل فلما احتضر أخرج مالا لزوجته...وقال لها إن هذا المال ماكنت أعددته لنفقة في الجهاد فليكن عندك بأمانة الله فأخرجيه وأنفقيه وبعدها مات .[2]

فنفقته في الجهاد وكانت تصنع بيدها الطعام للمجاهدين والضعفاء المؤمنين حتى أن يديها كانت تدميان من الطحن وعلاج الطعام لهم كما اهتمت المرأة بمجال العلم والأدب فكن يشهدن المجالس ويسمعن الحكمة وكن منهن عجائز مثل أم موسى بنت الحلواني وغيرها.[3]

وكن يخدمن المؤمنين ويعالجن المرضى .كما كان للمرأة دور في الحكم والسياسة وذلك من خلال اعتراض أم القائم ولد الخليفة عبيد الله المهدي حين أراد تعذيب الفقيه المالكي سعدون بن أحمد الحلواني فقالت له تأتي إلى رجل صالح ولي من أولياء الله سبحانه وتعالى تفعل به هذا أما تخشى أن يدعو على والدك فيهلك .فأمر بتخليته وأزال القيود من رجليه ودفع إليه ثلاثمائة دينار وبعث إليه دابة وقال له تصرف هذه الدنانير فيما تريد وهذه الدابة تركبها...[4]

وكانت بعض النسوة يخرجن إلى الأسواق بخصلات من الشعر لبيعها من شدة الفقر ويشترون بثمنها ما يحتجن في منازلهن.

1- المالكي:المصدر السابق، ص 50.

2- نفسه، ص53.

3 - القاضي النعمان :الإفتتاح، المصدر السابق،ص 132.

4- الماكي : المصدر السابق ، ص 259.

وكان "أبي عمرو هاشم بن مسرور التميمي" يقف بالعشي بسوق الغزل فإن رأى امرأة تبيع خصلة فيقول لها ما دعاك إلى بيع هذه ألا تركتيها حتى تكملي عليها . فإذ أجابته قالت له مضطرة بكى وذهب معها ليرى منزلها ويشتري لها القمح والزيت...

وعموما فقد كانت المرأة تمثل مرآة المجتمع وكانت قد وقفت إلى جانب الرجل في العمل داخل البيت أوخارجه لذلك فقد جعلت لنفسها مكانة هامة في المجتمع ولا يمكن أن يتخلى عنها.[1]

ب ـ مراسيم الدفن

إن سكان بلاد المغرب الإسلامي كغيرهم من سكان العالم يحزنون لوفاة أحد الأقارب، ويبكون على فراقه وينحون عند قبور موتاهم، وكانوا يحضرون الجنائز حين توفي الفقيه المالكي جبلة بن حمود حضر جنازته خلق من الناس .

وكانوا الخلفاء الفاطميون يحزنون هم أيضا لموتاهم ويأذنون الناس في المدن والقرى والبوادي البكاء عليهم.فقد حزن القائم بأمر الله بوفاة والده المهدي بالله حسب ماجاء في المصادر.وأذن البكاء عليه وواصل الحزن لفقده وأدامه من بعد حياته لم يرقد سريرا، ولا ركب دابة، ولاتوطأ مهادا، ولاخرج من باب قصره أسفا عليه وترددا لذكره .[2]

ولقد كان بعض الفاطميون الذين على فراش الموت ويحسون باقتراب أجلهم يوصون عن عدم النواح عليه لأن النواح على الموت في نظرهم من الجهل وفي هذا الصدد نهى المنصور بالله لأبنه المعز بالله فقال له كان فيها أوصاني فيه المنصور بالله عليه السلام عند وفاته أن قال لي دع عنك ملازمة قبري والاختلاف إليه فإن ذلك يبعث الحزن ولا يؤذي إلى غاية من الحزم وإنما يفعله الجهالة من الرجال فإن لم يكن لك من ذلك فالوقفة بعدة مدة لترحم ثم تنصرف بسرعة ومن عرف مصير الأرواح لم يلتفت إلى محل الأبدان .

ونلاحظ هنا أنه أوصاه بوقفة عن القبر والترحم عليه وينصرف دون حزن شديد أو بكاء،ولقد كانت الآراء الإسماعيلية الإجتماعية تمنع الصراخ والنواح على الميت إلا أن

1- الذباغ : معالم الإيمان، ص263.

2- المالكي: المصدر السابق، ص 28.

بعض النسوة لم تصغ لهذا التحذير فروي القاضي النعمان أن عثر على بعض النسوة ينحن فعوقبن بالضرب والنداء عليهن والحبس الطويل حتى أظهرن التوبة.ولقد كان والي العهد هو الذي يتولى دفن الخليفة دون سواه وهو الذي يقف على مراسيم الذفن إلا من كان من المقربين .

ودليل على هذا نجد أن القائم بأمر الله تولى ذفن المهدي واختار لشهود مراسم الدفن جوذرا فقال له ياجوذرا إنه لايحل للحجة بعد الإمام أن يذفن الإمام حتى يقيم حجة لنفسه ولم يحل لي ذلك حتى أقيم حجتي وقد ارتضيتك الأمانة دون جميع الخلق .[1]

وكانوا خلفاء الدولة الفاطمية إذ توفي أحدهم دفنوه في قصره لا في المقبرة وذلك من أجل تمسكهم بمظاهر العظمة ومكانته في المجتمع.

فلما توفي الخليفة المنصور بالله ذفن في قصره بصيرة .وكان الفاطميون يحملون توابيت موتاهم أينما ذهبوا فقد حمل المعز لدين الله توابيت أبائه المهدي والقائم والمنصور عندما خرج من المغرب الإسلامي متجها إلى مصر.[2]

1- جوذري :سيرة الأستاذ جوذر، تح محمد عبد الهادي شعيرة وكامل حسين، دار الفكر،القاهرة، 1954، ص39.
2- نفسه، ص40.

المبحث الخامس :مظاهر الاضطرابات الاجتماعية

أ ـــ المجاعات والأمراض المستوطنة:

وبسبب الحروب والاضطرابات التي شهدتها بلاد المغــرب الإسلامي،توالت عليها سنوات من المجاعة العامة،وأود بحياة الكثير من السكان، وقد علق بعض المؤرخين على ذلك فقال:"حتى أنهم كانوا يعجزون معها عن دفن موتاهم "هذا وقد وقف "ابن حوقل". كشاهد عيان . على سوء الأحوال الاجتماعية التي إليها الرعية ،فحكي في وصف مدينة " تيهرت " فقال:"وقد تغيرت تيهرت كما كانت عليه ،وأهلها، وجميع من قاربها من البربر من وقتنا هذا فقراء بتواتر الفتن عليهم، ودوام القحط،وكثرة الموت والقتل".[1]

ومن جهة أخرى أورد ابن عذراي المراكشي أنــه في سنة (303 هـ - 915 م)كان بإفريقية وما والاها وباء كثير، فمات من قريش القيروان "أبو المصعب بن زرارة العبدري" و"حماس القاضي بن مروان بن سماك الهمداني"، وكان فقيها زاهدا ومات محمد بن عبادة السويسي، ومات خلف بن معمر بن منصور من الفقهاء العراقيين، وقد لجأت السلطة في اتخاذ إجراءات وقائية من تجنب حدوث الوباء، كأن تمنع الناس من الدخول إلى المدينة الموبوءة أو الخروج منها، من أجل احتواء الداء و الحد من انتشاره في المناطق المجاورة، أما إذا كان الوباء عاما فإنه يكون أشد فتكا بالسكان، وتكون عواقبه وخيمة لاسيما في المدن ذات الكثافة السكانية الكبيرة الطاعون مثلا الذي عمــا البلاد سنة(307هـ - 919م) حتى أنه بلغ إلى حدود مصر حسب ما أشار إليه" ابن عذراي" .[2]

ولم يكن وباء "الطاعون" يشكل تهديدا على حياة سكان المغرب الإسلامي فحسب، بل هناك داء أخر لا يقل عنه خطورة ألا وهو "داء الجذري"، فقد ورد في بعض المصادر قصة ذلك الشيخ المسن . من سكان للمونستير . كانت له ابنته ابتليت في عينــها بهذا الداء الخبيث،حتى أصبحت لا ترى قليلا ولا كثيرا كما انتشرت بين السكان "داء الإسهال"

1- السيلاوي :الإستقصاء لدول المغرب الأقصى، ج1، ص 191.

2- ابن عذاري: المصدر السابق، ص 183.

وأصيبوا به، نجد الخليفة المنصور بالله الفاطمي، حيث أدى إلى وفاته سنة (341هـ أو339هـ- 952م أو 950 م)، حسبما ذكره ابن حماد.[1]

و مما ساعد على ارتفاع عدد الوفيات في بلاد المغرب الإسلامي سوء التغذية الأمراض الوبائية التي كانت تفاجئ السكان من حين لآخر، و الأمراض المستوطنة وقلة الوعي الصحي في أوساط العامة من الناس، لاسيما الطبقة الفقيرة منهم .

ناهيك عن قلة النظافة نتيجة للظروف الإجتماعية والإقتصادية التي تعرضوا لها وتذبذب لأحوالهم المعيشية،ويبدو إن ما زاد الآمر سوء وتعقيدا في عهد الفاطميين هو غياب مخطط صحي وقائي، نتيجة قلة المؤسسات الصحية من بيمار ستانات للمعالجة والتمريض عند وقوع مثل هذه الأوبئة [2]، ناهيك عن قلة الأطباء المتخصصين في هذا الميدان،و يكفي أن نشير في هذا الصدد إلى مدينة القيروان كحاضرة للفاطميين اشتهر بها طبيبان فقط و يتعلق الأمر بالطبيب"إسحاق بن سليمان" و"جعفر بن إبراهيم بن أبي خالد" المعروف "بابن الجزار" هذا الأخير الذي كرس حياته في الطب لخدمة أهالي القيروان غنيهم وفقيرهم دون أن يقبض أجرة.[3]

ب ـ الهجرة الداخلية والخارجية:

إن الوضع السياسي والإجتماعي المتأزم أدى إلى حدوث ظاهرة خطيرة في المجتمع المتمثلة في الهجرة الجماعية للسكان سواء في المناطق القريبة أو المناطق الخارجية، فقد أخدت هذه الظاهرة الاستفحال في التوسع، كلما ازدادت الحملات العسكرية الفاطمية التي كانت توجه لإخماد الثروات الداخلية المناهضة للحكم الفاطمي ففي سنة (305هـ-917م)،فر قوم يعرفون ب "بني صالح " إلى بلاد الأندلس بعد تعرض مدينتهم "نكور" إلى حملة عسكرية، عنيفة قادها "مصالة بن حبوس "ضدهم، لأنهم رفضوا طواعية الإذعان لسلطة الفاطميين فقتل رئيسهم. كما هاجر الكثير من أهالي "المهدية" إلى مناطق بعيدة

1- ابن حماد :المصدر السابق، ص 47.

2 - رفيق بوراس: مذكرة ماجيستر بعنوان الأوضاع الاجتماعية بالمغرب في عهد الخلافة الفاطمية (296 -372هـ/ 908-972م)، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008، ص 116.

3- رفيق بوراس، المرجع السابق، ص 117.

الجزيرة صقلية مثلا، مصر، بلاد الروم... الخ بـعد أن أنهكـهم طول الحصار الذي فرض عليـهم من طرف الجيش أبي يزيد مخلد بن الكيداد الزناتي، والتمسوا عجز من الحماية الفاطمية لهم .[1]

وذكر "جودت عبد الكريم يوسف " بأن سقوط مدينة " تيهرت " على يد أبي عبيد الله الشيعي سنة 296هـ- 909م تمثل البداية الفعلية لمثل هده الهجرات الجماعية التي شهدتها بلاد المغرب الأوسط [2]، والمغرب الإسلامي ككل ،وقد بدأت أولى الهجرات مع أسرة أبي يوسف يعقوب بعد سقوط إماراتهم متجهـين نحو الصحاري، وخـاصة نحو وارجلان في الجنوب الشرقي من تيهرت وإلى مدينة جربة وجبل نفوسة .

لقد رأت جماعات كثيرة من السكان الهجرة إلى المدن التي أسسـها الفاطميون حديثا ملجأ أمنا لهم، إذ نجد أعداد كبيرة من الأهالي إلى مدينة "المهدية " بعد تحصينها فرارا من تلك الحروب الطاحنة التي استمرت بين الزناتيين والفاطميين، لا سيما في القيروان، حيث لم يكن بين سكان هذه المدينة سوى عدد قليل ممن كانو يعطفون على عقيدة الشيعة.

إن الصراع المحتدم بين قبـائل الدولة الفـاطمية حول سيادة المغرب الأوسط أدى إلى هجرة بعض الأهالي من "المسيلة "،و" طبنة "،و"حمزة "،إلى مدينة" أشير" طلبا للأمن والسلامة .[3]

كما تعد السلطة الفاطمية عامل يتدخل في تهجير بعض القبـائل من مضاربها، وخاصة التي ترى فيها خطرا يهدد استقرارها. وقد يكون تهجير السكان لأسباب عمرانية بحته لا علاقة لها بالأوضــاع الأمنية ومما جاء في هدا الصدد: "أن المنصور بالله الفاطمي، فرض على كتامة أربعة عشر ألف بيت يوافون المنصورية فيسكنون فيها " وكذلك فعل المعز لدين الله الأمر نفسه، إذ قام بتعبئة قبيلة كتـامة للرحيل معه إلى مصر.[4]

1- الدرجيني :طبقات المشايخ بالمغرب، ج1، تح ابراهيم طلاوي، مطبعة البعث، قسنطينة،1974،ص 104.
2- النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب ج 24، تح حسن النصار، 1983.ص 111.
3- الأثير: الكامل في التاريخ، ج6، دار الكتاب الغربي، بيروت، دط، 1949،ص 190.
4- المقريزي:المصدر السابق،ص 306.

الخـــــــاتمة

الـــخـــاتـــمـــــة

في نهاية هذه الدراسة المتواضعة المتعلقة بدراسة الأوضاع الاجتماعية للدولة الفاطمية في الفترة الممتدة من قيامها بالمغرب حتى انتقالها إلى مصر وخلال هته الفترة قمنا باستعراض ملامحها الاجتماعية التي ساهمت في ازدهارها وتطورها في مختلف الميادين,وبعد إطلاعنا على أهم المصادر والمراجع التي تناولت دراسة موضوع الوجود الفاطمي في بلاد المغرب والذي إنعكس بدوره على الأوضاع الإجتماعية للسكان فخلصنا إلى النتائج التالية:

إنه بدخول الفاطميين إلى المغرب اتبعوا خطوات لتأسيس دولتهم تمثلت في مرحلة نشر الدعوة الإسماعيلية ومرحلة تكوين الدولة .

كذلك تشاحن الأمراء فيما بينهم أدى إلى ظهور عدة قبائل ساهمت في الإختلاف الطبقي بين فئات المجتمع.

وتعد قبيلة كتامة من أهم القبائل التي قامت على أنقادها الدولة الفاطمية والتي تركت بصمة بارزة في تاريخها بمجهودتها.

لقد ساهمت بعض الطبقات في تغية البنية السكانية للمنطقة مما دفع بها إلى إختلاف في طعامهم ولباسهم.

لقد تميزت الإحتفلات في المجتمع الفاطمي بتنوعها(زواج,ختان,أعيد دينية) بالإضافة إلى عدة أعياد أخرى هذا مابين لنا انتشار ظاهرة الإسراف الشديدة في المجتمع الفاطمي الذي يرجعه بعض الدارسين إلى كثرة المال في ذلك العصر .

أما عن العادات والتقاليد التي انتشرت في المجتمع الفاطمي فكلها كانت متماسكة ومتواصلة عبر التاريخ،فقد اصطبغت بالصبغة الإصلاحية كالكرم وحسن الجوار والإحسان إلى الفقراء واليتامى...,في حين ظلت بعض العادات التي لاترقى إلى المستوى الإجتماعي الائق متأصلة في مناطق محدودة مثل ظاهرة اللواط ,مجالس اللهو والمجون والحزن الشديد على الموتى.

أما المرأة في المجتمع الفاطمي فقد تعدد أدوارها حيث كانت تبدل كل ما في وسعها لتوفير سبل الحياة لعائلتها,حيث كانت كأم ترعى الأولاد ,وتساعد زوجها في المنزل ,إلى تاجرة في السوق تبيع وتشتري وطالبة تبيع وتشتري.

فالمرأة كانت تتمتع بكافة حقوقها الإجتماعية والمادية آنذاك.

وقد قمنا في الأخير, بإعطاء دراسة لبعض الاضطرابات الإجتماعية التي كانت في العهد الفاطمي والتي, من بينها المجاعات والأمراض والهجرة للهروب من الواقع المر, التي انتشرت بفعل عدة عوامل, من بينها كثرة الحروب مما أدى إلى سوء الأحوال الإجتماعية.

*وعلى الرغم مما وقفنا عليه من نتائج ,حول الأوضاع الإجتماعية لبلاد المغرب الإسلامي في العهد الفاطمي ,إلا أن هذه الدراسة تبقى محاولة متواضعة ,فأعمال الإنسان

مهما كان فهي لن تخلو من النقائص ,ويعلم الله مدى الصعوبات التي واجهتنا من أجل أن نخرج إلى النور ,لكن بحمد الله ومنه تحملنا مشقة كل ذلك بعزم وثبات راجينا منه تعالى أجر الإجتهاد.

الملاحق

الملحق رقم (01)

أبن حماد: المصدر السابق، ص 131.

الملحق رقم (02)

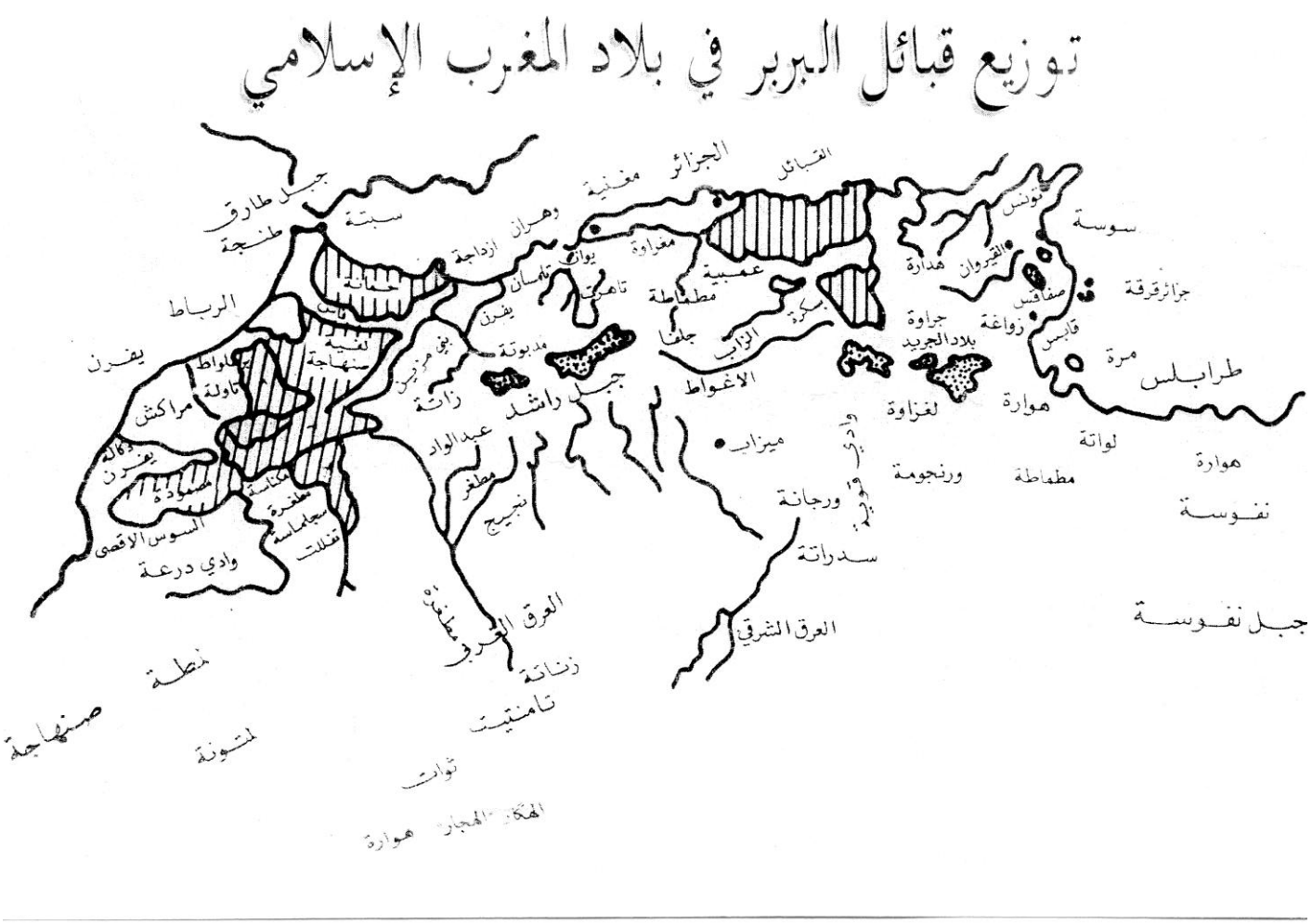

أبن حماد: المصدر السابق، ص 130.

قائمة المصادر والمراجع

1: - المصـــــادر

1- ابن أبي دينار :المؤنس في أخبار إفريقية وتونس ،مطبعة الدولة التونسية بمحاضرتها المحمية ،ط1,1286.

2-ابن الأثير : الكامل في التاريخ,دار الكتاب العربي ,بيروت, دط ,1949

3- ابن حزم : جمهرة أنساب العرب،تح, عبد السلام هارون ، دار المعارف ،مصر , ط3 ; 1971

4 - إبن حوقل :صورة الأرض،منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت, دط ،1996.

5_ ابن خلدون:العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر,بلاق, دط ,1284 هـ.

6 - ابن الخير الإشبيلي:عمدة الطبيب ،في معرفة النبات ،ج2.

7- ابن عبد ربه:العقد الفريد، تح محمد عبد القادر شاهين ,ج3،المكتب العصرية ج3،صيدا بيروت, دط ،2004.

8-ابن عذارى المراكشي: البيان المغرب في أخبار المغرب والأندلس,تح كولان .ليفي بروفنسال,ج1,دار الثقافة,بيروت لبنان,ط3,1983.

9- ابن وردان : تاريخ مملكة الأغالبة ،تح محمد زينهم محمد عزب،مكتبة مدبولي ،القاهرة ,ط1،1408هـ1988/م,.

10-أبو الفتح بن عبد الكريم الشهر ستاني:الملل والنحل , تحقيق محمد السيد الكيلاني , ج1,دار المعرفة للطباعة والنشر,بيروت ,دط,1980.

11-الإصطخري:أبو اسحاق بن براهيم بن محمد الفارسي المعروف بالكرخي,المسالك والممالك ,تح محمد جابر عبد العال الحيني ,القاهرة ,دط،1961.

12-البكري:المسالك و الممالك:تح طلبة ,ج2,دار الكتب العلمية,بيروت,ط1,دت.

13- جوذري :سيرة الأستاذ جوذر،تح محمد عبد الهادي شعيرة وكامل حسين،دار الفكر،القاهرة ,دط،1954.

14- حسن حسين عبد الوهاب ،ورقات عن الحضارة العربية بإفريقيا ،ج3 ,دط,دت.

15- حسن الخربوطي :أبو عبد الله الشيعي مؤسس الدولة الفاطمية ,المطبعة الفنية الحديثة, دط ,1976.

*** حسين مؤنس :**

16-معلم تاريخ المغرب والأندلس, دار الرشادي ضمن مشروع مكتبة الأسر ,دط ,1992.

17- فتح العرب للمغرب ،المكتبة الثقافية الدينية,دط,دت.

18- الداعي إدريس:تاريخ الخلفاء الفاطميين بالمغرب,ج5 ,من عيون الأخبار ,دط,دت.

19- الدرجيني :طبقات المشايخ بالمغرب ،تح ابراهيم طلاوي،ج 1،مطبعة البعث ،دط, قسنطينة،1974.

20- الذباغ :معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ،ج 2،المطبعة العربية التونسية ،1907

21-المالكي:رياض النفوس ،تح بشير بكوش وأحمد العروسي المطوي ،ج 2،دار الغرب,دط,دت.

22- المقريزي : اتعاظ الحنفاء بأخبار الفاطميين الخلفاء, تح جمال الدين الشيال ,ج1,القاهرة,ط1992,2

23- السيلاوي:الإستقصاء لدول المغرب الأقصى ،.

24- شريف الإدريسي:المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس, ليدن ,1864.1866.

*** القاضي النعمان :**

25- إفتتاح الدعوة ،تح فرحات الدشراوي ،الشركة التونسية للتوزيع ،تونس دط،957.

26- المجالس والمسايرات،تح الحبيب الفقي وإبراهيم شبوح،ومحمد العيلاوي ، الجامعة التونسية وكلية الإنسانية ،تونس,دط،1978.

27- اليعقوبي:صفة المغرب ,أوربا.

2-المراجـــــــع :

28-أدم ميتز : الحضارة الإسلامية في القرن الرابع هجري أو عصر النهضة في الإسلام ، ج2 ،دار الكتاب العربي,دط ،بيروت,دت.

29-أيمن فؤاد السيد :الدولة الفاطمية تفسير جديد ، ،المصرية دار المصرية اللبنانية ط1،بيروت,1992 .

الإسلامي لطباعة و النشر بيروت ،1989.

30- سعد زغلول عبد الحميد:تاريخ المغرب العربي من الفتح إلى بداية عصر الإستقلال منشأة المعارف ,ج1,دط, الإسكندرية,1996,.

31- شارل أندري جوليان :تاريخ إفريقيا الشمالية ،تح محمد مازالي البشير بن سلامة ،مؤسسة توالت الثقافية،ط1 ,1968.

32- عارف تامر: المعز لدين الله الفاطمي واضع أسس الوحدة العربية الكبرى ، دار الأفاق الجديدة، ط 1،بيروت ، 1982.

33- عبد الله محمد جمال الدين : الدولة الفاطمية قيامها ببلاد المغرب وانتقالها إلى مصر إلى نهاية القرن الرابع هجري مع عناية خاصة بالجيش,دار الثقافة لنشر والتوزيع دط,القاهرة,1411هـ1990م.

34- موسى لقبال :المغرب الإسلامي ,الشركة الوطنية للنشر والتوزيع, ط 1981,2,الجزائر.

35- مؤلف مجهول :بحوث في تاريخ الحضارة الإسلامية في ذكرى الأستاذ أحمد فكري 16 أكتوبر 1976,مؤسسة شباب الجامعة ,40 شارع مصطفى مشرفة الإسكندرية2000

36 - فاطمة ،مصطفى عامر :تاريخ أهل الذمة في مصر الإسلامية من الفتح العربي إلى نهاية العصر الفاطمي ،ج2,دط,دت.

3-الرسائـل الجــامعية :

37- رفيق بوراس :مذكرة ماجيستر ،بعنوان الأوضاع الاجتماعية بالمغرب في عهد الخلافة الفاطمية (296 .372هـ908/. 972م) ،جامعة منتوري،قسنطينة ،2008.

38- موسى رحماني :رسالة ماجيستر بعنوان ،الأوراس في العصر الوسيط من الفتح الإسلامي إلى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر (362.27 هـ 637/.972م) ،جامعة منتوري ،قسنطينة ،2007.

الفـــهرس

قائمة المحتويات :

المحتوى الصفحة

مقدمة.....أ-ب-ج-د
فصل تمهيدي:مدخل لقيام الدولة الفاطمية بالمغرب.....7-11
الفصل الأول:فئات المجتمع.....13
المبحث الأول: البربر 13
المبحث الثاني:العرب.....18
المبحث الثالث:العجم.....21
المبحث الرابع:الأفارق أو الأفارقة.....22
المبحث الخامس:أهل الذمة..... 23
الفصل الثاني: الحياة االعامة للسكان ومظاهر الإضطربات فيها.....26
المبحث الأول :الطعام.....26
أ. طعام أهل الحكم..... 26
ب. طعام العامة.....27
المبحث الثاني: اللباس.....29
أ. لباس أهل الحكم.....29
ب. لباس العامة.....30
المبحث الثالث:الاحتفالات.....31
أ . الأعياد الدينية.....31
ب . الزواج.....33
جـ . الختان.....35
المبحث الرابع: العادات و التقاليد.....36
أ. دور المرأة.....38
ب . مراسيم الدفن.....40

المبحث الخامس:الإضطربات الاجتماعية 42
أ. المجاعات والأمراض المستوطنة.....42
ب الهجرة الداخلية والخارجية.....43
خاتمة.....46
الملاحق.....50
قائمة المصادر والمراجع.....53
الفهرس.....59